أم محمد نعيمة بوعسل

مُرشدي في الظُلمة

قصة ونصوص

دار النعيمة للنشر الإلكتروني

مرشدي في الظلمة

اسم الكتاب: مرشدي في الظلمة

اسم الكاتب: أم محمد نعيمة بوعسل

نوع العمل: قصة ونصوص

الرقم الدولي EBIN: 16-1-365-250215

الناشر: دار بسمة للنشر الإلكتروني

الطبعة الأولى: 2025م / 1446هـ

دار بسمة للنشر الإلكتروني

00212771814934

داربسمة للنشر الإلكتروني (المغرب)

Darbassma1@gmail.com

المملكة المغربية

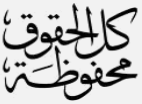

دار بسمة للنشر الإلكتروني تُقدم جميع خدمات النشر، ولا تتحمّل أي مسؤولية تجاه المحتوى، إذ إن الكاتب وحده هو المسؤول عن نتاج فكره.. كما لا يجوز بأيّ صورة نشر أو إعادة طبع أي جزء من هَذَا الكتاب أو اختزان مادته بطريقة الاسترجاع، أو نقله عَلَى أي نحو كَانَ، أو بأيّ طريقة سواء كَانَت إلكترونية أو بالتصوير أو خلاف ذلك، إلاّ بموافقة خطية من الناشر أو المؤلف. ©

مرشدي في الظلمة

قصة ونصوص

أم محمد
نعيمة بوعسل

الإهداء

إلى صاحبة الثغر الباسم وصاحبة القلب الرحيم أمي إليكِ أهدي هذا الكتاب وأقول: الفضل لله ثم لكِ ولمن أنجبت بطنـكِ (مُرشِدي) فيما أنا فيه اليوم، فجزاكما الله عنّي خير الجزاء.

مَوصول إلى الصفِيّ وشِبله.

قصة

وفي زمن الظُلمات لابد من مرشد يدلك على بوصلة الطريق لكيلا تتخبط في التِّيه وحدك، وليس من الضروري أن يكون المرشد شخصًا!

...

كانت زيارة سريعة كالبرق، حيث زارني وقت أذان المغرب. حكيت له باختصار شديد ما حصل معي من خير، وبشّرته بإتمام حمل ثلاثون نورًا، فبكى متأثرًا، ومعتذرًا عن غيابه وتركه لي في نصف الطريق.

حاولت إنقاذ الموقف الذي كاد أن يتحول إلى مأتم عزاء. ومع رفع الأذان، قلت: أنا لا أحب تأخير الصلاة، هيا أمني في الصلاة.

صلينا وسبحنا المولى، وحمدناه وكبَّرناه...

وسلكنا طريقًا بالكاد كان ينفذ إليه ضوء القمر بين الأشجار.. بينما تمتد أمامنا طرق طويلة سوداء كَسواد ظلمة الليل..

في نِهايتها ملتقى الطرق، يمينًا ويسارًا؛ ولا أعرف أيُهما الأصح سَلكه.. فجأة أدرت وجهي لم أجده بحثتُ وبحثت، لكن دون جدوى.. بدأت أحاول أن أقتفي آثَاره وأرثيه..

يا خير ما رزقني به الله كيف لمثلك أن يترك طِفلته وحِيدة تائهة في بداية الطريق، حشاشة نفسي كادت تُودِّع يوم ودَّعتني وارتحلت، دونك أجد خذلانًا ومنكَ لا أظن، وكأني حملت بعدك الرواسي والدنيا على ظهري، تقرض فؤادي وتُنسيني هدفي.. قد مالت بي الدروب دونك يا رفيق الدرب، وبكت الأدمع لأدمعي، وتكالبت عليّ المآسي...

وعندما بدأ اليأس يقترب وبَلَغ الحزن مني مبلَغه، إذا بي أراه فجأة من بعيد يغادرني ويبتسم لي، كان وجهه وضَّاءً يرتدي قميصا رمليًا جميلًا، سلكَ طريقًا غير طريقي قاصدًا دربا بعيدا عنِّي، ويبتسم لي ابتسامة جميلة تحمل في ثغرها رسائل أنستني صعوبة الطريق وخلوه من الأخلاء وجحود الغريب وظلم القريب، كانت ابتسامته ونظراته بحد ذاتها رِسالة لقلبي العليل ونفسي الضعيفة، لكي أستطيع إكمال المسير، فجأةً! إذا بأشخاص يلتفون حولي، وكل منهم يقول: هل نساعدكِ؟ هل أنتِ تائهة؟ أين مرشدك؟

لكن رسائِله تلك كانت كفيلة لأكمل الدرب وحدي مقتفية تِلك الآثار التي تركها، وبقلبي هو لا غير. كانت تِلك الطرق طويلة ومليئة بقلوب الصَبَّار، لكنه أرشدني وعلمني ركوب الصعاب، قوَّى قلبي، ومعي ربي، لم ألتفت لتلك الوجوه الكالحة، التزمتُ الصمت الكثير والصبر الجميل، لكن قبل أن

أكمل ما تبقى أمامي من طريق، تعرضت لي امرأة عجوز تمشي على عكاز، يبدو أنها كانت جميلة، ولكن التجاعيد والشيب غطيا كل ذلك. استوقفتني وقالت:

- أراكِ تائهة شاردة الذهن، خائفة من المارين يا بُنيتي.. من خاف نجا! لكن ليس كل العابرين قُطَّاع الطرق. تعالي معي، نعود، فالدرب طويل والوصول صعب، ومعي لا خوف ولا جزع!

حاولت الصمت كما العادة، لكن كلامها أشعرني بشعور غريب.. أومأت برأسي وقلت: هناك رمد من ماضي اعتلى فؤادي الحزين فأحرقه، وكان ذلك بسبب أحد العابرين. لذلك أنا شديدة الحذر وصارمة في عدم الرجوع وإكمال السير وحيدة.

مدت يدها إليّ بقوة وقالت: تعالي معي. قلت لها: إلى أين؟ وقبل أن ترد، قلت: أنا فعلًا شاردة، تائهة، حزينة لفراق مرشدي، لكني أُفضِّل البقاء في مكاني على سلكِ طريقٍ خاطئ فيه غمار الناس. لقد رحل مرشدي وأسلم لي أن أقف مكاني، إلا إن كان سيري سيوصلني إلى بلوغ المرام.

حسبي يا خالة أن الله مطلع وهو أرحم بي، ولا تخافي علي أنا أمة الله لن يُضيعني، الرحيم يحفظ من إليه يسير، فلترافقكِ السلامة.

قالت وهي تتنهد وتستند على عكازها: قبل عِقدين مرت صبية عَنيدة مثلكِ وفي نفس حالتك، كانت شديدة الحذر والخوف، كان صبرها جميلًا، لا شكوى فيه ولا ضجر، وصمتها طويلًا، لا أذى فيه ولا خِصام؛ كجمال روحها وطِيبةِ قلبها، عجبت منها، كيف لِمثلها أن يُهان وهو يستحق أن يُصان،

حاولتْ مرارا مُواراة الألم عني، وطالما كانت تصُدني ولا تلتفت إلي، حاولت معها بشتى الطُرق.. فظلّت ثابتة على ما هِي عليه من خَير، حتى حلّقت الروح نقية طيبة إلى بارئها، فجأة قلت لها: من أنتِ؟ فقالت ألم تعرفيني بعد؟ فقلتُ: لا!

قالت: أنا التي لَطالما غويت العابرين، وأنا التي لأجلي تخاصم الخِلان والمتحابون، في كل مرة كان يمر فيها عابر كان يحملني معه في قلبه كانت تلك المُضغة خالية إلا مني، إلى اليوم الذي مرت فيه تلك الصبية، لم أجد لي مكان في قلبها رغم كل الخراب الذي كان حولها وأمامها، إلا أنه زاحمني نورٌ لا أستطيع مقاسمة المكان معه، وفي كل مرة كنت أحاول الدخول كان يَصدني النور.

فجأة اختفت، وتركت في قلبي رسالة أخرى مفادها أن ذلك النور قوي جدًّا، ولا قوة في الأرض تستطيع مزاحمته. إنه الحصن المتين للخائفين، وبوصلة التائهين، لذا وجب الإسراع..

لكنني سرت بِخطى بطيئة، فالطريق كان خاليًا مُظلِمًا، والدرب طويل، والنور منطفئ، والبحث متواصل عن مسجد أستريح فيه. وجدت محرابًا مزينًا بالأخضر وصوتًا طيبًا يردد آيات الرحمن: {كهيعص ذِكْرُ رَحْمَةِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا}. دخلته، وناديت.. والدموع تسبق الدعاء: هب لي من لدنك صلاحًا وفلاحًا، وأعني على نفسي فإني عَدُوي وأرشدني فإني تائهة ضعيفة وأنت رب المستضعفين..

وأنا جالسة أذكر الله وأبكي، وأناجيه أن يدلني على الطريق، دخلنَ فتيات صغيرات وجوههنّ بيضاء، وابتساماتهن مُشرقة.. ضاحكات مستبشرات، كأنهن وُرود بيضاء مُفعمة بالحياة، وكأن ما ألم بي في الماضي انزوى لمجرد رؤيتي لهنّ في تلك اللحظة، ابتسمت من صميم قلبي، اجتمعنَ حولي وجعلنني في وسطهن..

قالت إحداهن: أسمعينا.. اقرئي لنا.. وعلمينا.. قرأت لهن وعلّمتهن مما تعلمت ولو كان يسيرًا. فقلت لهن بعدما أكملت..

صغيراتي هل لي بطلب؟

قلنَ جميعا بصوت واحد رنان، نعم اطلبي ما شئتِ..

قلت: هل بإمكانكن أن ترفعن أكفكن لله أن يرشدني إلى الطريق ويبلغني المُراد؟ وأعدكنّ إن حصل، أرجع إليكنّ ما

بقيت هذه الروح في الجسد، قُلنَ: نعم. ثم قلت: هل لي بطلب أخير؟ قُلن: نعم. قلت: هل بإمكاني أن أضمكن قبل أن أغادر.

فإذا بهنَّ يجتمِعن حولي ويضمنني.

وقُلن لي: لا تغيبي عنا، نحن نحبكِ.

"الحب" كلمة طيبة، فرعها نقي وجذورها ثابتة لا تهتز، الحب ليس الذي لوثه المتطفلون، الحب كالثوب الأبيض النقيّ من الدنس، الحب أهلا لمن هم أهلًا له، من نصب أعينهم "تقوى الله عز وجل"!

مسحت الدمع من عيني وغادرت المكان، ولا قوة لي ثانِية على فراق الخِلان، من يحبوننا في الله ويُمسكون أيدينا بهمة الشهداء الذين يرونَ الغاية جنة، يحبوننا لا لدنيا ولا منصب، بل يحبوننا في الله ولله، يحبوننا لأنهم بصدق يحبوننا.. لكن كان حسبي بعد كل وداعٍ أن الدنيا دار رحيلٍ وفراق والآخرة دار بقاءٍ ولِقاء.

مشيت وقطعت طرقا طويلة، مشيت بعزم ويقين، أكيد طول الطريق بكيت، ونعم سقطت وانجرحت، لكن.. كان جُرحي في يدي اليُسرى وحُلمي في يدي اليُمنى، أواري الجرح وأركض وراء الحلم.. كانت دعوات أمي تطرب مسامعي "الله يرضى عنك ويبيض سعدك، ويَسعد قلبك بقدر كل ذرة حزن سكنته وأكثر" وكانت ابتسامة أخي الأكبر وفخره بي وعرق جبينه الذي يَنزل كل يوم ليؤمِّن لي حياة

طيبة، تدفعني للاستمرار بعزم ليدوم فخره بي، وكانت دعوات الصغار ترافقني، وتشجيعات الرفيقات الصالحات توقظ همتي، وذِكرى أبي الغالي رحمه الله تُقويني.

أما طيف مُرشدي فقد كان يرافقني حتى وصلت مُلتقى الطرق، حينها سلكت درب اليَمين وسألت القوافل عن مسجد أصلي فيه وأستريح من طول الطريق وصعوبة الوصول..

وأخيرًا وصلت واستفقت... طوال تِلك الطريق كان طيف مُرشدي يُوجهني نحو المسجد، وجدت نورًا داخل المسجد، أشرقت روحي بالنظر إليه أسرعت لأحمله بين جنبي صدري. وآخر ما تلوته منه:

بِسْمِ اللهِ الرَّحمَنِ الرّحِيم ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ (1) مَلِكِ النَّاسِ (2) إِلَهِ النَّاسِ (3) مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ (4) الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ (5) مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ (6)﴾.

والدمع بين جفنيّ عَيني، سجدت لله حامدة شاكرة، أن رزقني حمله في الصدر.. رغم ضعفي، جهلي، ذنبي، خوفي.. ارتوت روحي الأسيرة ونفسي العليلة.. وأخيرًا دقّت السعادة باب المضغة التي بين جنبي صدري، وحمِلت في ثناياها ثلاثون نورًا، وحلقت الروح لترتشف من معينه العذب دائمًا؛ دعوت الله أن يجزي مرشدي عني خيرًا، ويجمعني به في هذا الدرب لأبلغه أني وصلت وحملت النور في الصدر.

لتبدأ رحلة السعادة.. أكيد لم ينتهِ الألم، ولن ينتهي البلاء فهو سنة الله في خلقه، لكن سيهون ذلك على قلب فيه ثلاثون نورًا وبوصلته الصبر، وزاده التقوى، ووجهته الدار الآخرة.. كل شيء يهون بإذن الله يا صديقتي.

والآن، هل وجدتِ مرشدًا؟

وكيف لمثلك أن يبحث عن مرشد وهو أمامكِ، امسحي الغبار عنه وابدئي رحلتكِ، أنتِ في معية الله لن تضيعي، القرآن يصاحبكِ، يعلمكِ، يربيكِ، يؤنسكِ، يرافقك في دروب الدنيا، وفي ظلمة القبر، والدار الآخرة، فقط احذري من قُطاع الطرق، ومن العجوز التي ستغويك بشتى السبل لتسكن قلبك، لا تلتفتي لها، وتسلحي بسلاح الإيمان والدعاء، ولا تفسحي لها المكان لتزاحِم النور الذي في صدرك..

...

- وهي تبتعد بخطوات، وتستند على عكازها، قالت بعد تنهيدة: أراكِ ترجعينَ وقد أوصيتِهم بِأخذ الحذر مني، فما الذي أرجعكِ؟
- قلت: نعم يا خالة، عُدت لكن بِغيرِ الحال الذي كنت عليه. قالت: وما غيركِ؟ قلت: النور الذي أحملـه، ألا ترينَه؟ قالت: نعم أراه، وهو ما جعلني أبتعد عنكِ بخطوات.

- قلت: تخافين أن يعمِيَكِ؟ قالت: لا. لكني لا أقاسم المَكان معه، وحيثما حَل النُّور، فرّ الظلام.. ما الذي أرجعكِ؟
- قلت: أبحث عن مُرشدي. قالت وهي تضحك: وهل لازلتِ تبحثين عن مُرشد يدلكِ على الطريق وقد وصلتِ؟ قلت: أليس من العيب يا خالة أن نعض اليد التي امتدت لنا وقت الضر والتِّيه؟ لعل مُرشدي تائه في هذا الدرب لِوحده.
- قالت: ومن أخبركِ بهذا؟
- قلت: أسمعه بِقلبِي، أراه في منامِي وفي حِلّي وترحالي، أراه في صرخات الثكالى وفي أنين اليتامى، ودموع الكهال، أراه ولا أرى سِواه. قالت وهي تتنهد: كأني أود مساعدتكِ، دعي النور جانبًا وتعالي معي. قلت: لا أستطيع. بِه أرى الطريق وبهِ أبلغ المُراد. قالت: وما المُراد يا بُنيتي؟ قلت: إيجاد مُرشدي وأخذي بيده، قالت: من يأخذ بيد من، أليس هو من أخذ بيدك بالأمسِ؟ لقد رأيتكم تمرون من هنا، عجبت فيكم ومنكم. قلت: هل تعرفينه يا خالة؟ قالت: نعم أعرفه وأعرفه جيدًا كما لم تعرفينه أنتِ. قلت: احكِ لي عنه لعلي أنسى عناء البحث إن سمعتُ عنه. قالت: كانَ صبيًا تَقي القلبِ نَيّر الوجهِ، يتسِم بالخُلق الحَسن، يرفق بالصغير ويُوقر الكبير، يحبه الله، وحبب خلقه فيه، يمشي في دربه مُسالما، لا يظلم ولا يخدع ولا يمكر، لكن عيبَه الوحيد فُؤاده الرهيف.

سألتها: وهل يُعاب من لديه قلب رقيق؟ فَردت: بالنسبة لي، في دائرتي لا يوجد مكان للقلب الرقيق.
قلت: نعم أعرف يا خالة، في دائرتك الأمر مختلف الكل يُنادِي: نفسِي نفسِي. قالت: دعيني أتمم وإلا صددت عنكِ، أراكِ صَعبة معِي! ابتسمت وقلت: حاشى يا خالة، أنا أحبكِ، فقالت: ولماذا لا تدخليني قلبكِ إذن؟! قلت: لأن مكانكِ الأصح خارجَه، أنتِ في يدي، لا في قلبِي.. ماذا عن مرشدي، هل مر من نفسِ الدرب؟

- ردت وقالت: لم يمر، وحبذا لو مر، وحبذا لو أوقفتِه، كما أوقفتِني خارِجًا.
- وذهبت غاضبة، لأنها تنتظر أخيها اليأس ليفتح لها باب الدخول لتلك المُضغة. قلت لها: تتركيني هكذا دون إكمال الحديث عنه. فالتفتت إليّ وقالت بحزم: "اذرفي الدمع كالسحاب، مُرشدكِ غدَا إلى دار الخُلد مُودعًا.. وسيلقى في النعيم خير الصِّحاب". قلت: لكن كيف ذلك يا خالة، لم يُودعنِي؟ فقالت: ودّعكِ على أمل اللقاء، أما أنا ودّعني وداع الراحِل دون لقاء.

ومضيت والدمع جف من عيني، ولا أدري هل بكاء القلب يجدي. خطوت خُطاي دون خوف، لأنه حلّ مكان المُرشد النور، فحجب عني كل من يريد ضري في دربي الطويل. تعرض لي قُطاع الطُرق وقلوب الصبّار، فأعماهم النور. سمعت أذان الفجر كما لم أسمعه من قبل، يؤذن في الظلمة بين سواد الليل وضوء النهار.!

ابتهجت وركضت مسرعة نحو مصدر صوت الأذان. فوجدته المِحراب الذي دخلت إليه أول مرة، كان شيخًا بصيرًا طاعنًا في السن، يردد آيات الرحمن: ﴿يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ (87)﴾.

يا سيدي، أنا عابِرة في هذا الطريق، اشرح لي ما تلوت. ـ "أهل الله يقرؤون بقلوبهم ويرون بنور الله "-. قال: سيدنا يعقوب، يا ابنتي، يوصي أبناءه بالبحث عن يوسف وأخيه بنيامين، ويقول لهم: لا تقنطوا من تفريج الله وتنفيسه عن عباده، إنه لا يقنط من تفريجه وتنفيسه إلا القوم الكافرون؛ لأنهم يجهلون عظيم قدرة الله وخَفِيَّ أفضاله على عباده.

خفضت رأسي وبدأ الدمع ينسكب، أنا لِوحدي أبحث عنه في الظُلمة، لم أتعب. لكني أنادي ولا من يُجيبني، وخلفي أصوات تردد نفس نداءاتي، ولا من مُجيب.!

قال: أنتِ يا ابنتي، عودي والجئي لله. قلت: سبحانه، لا ملجأ منهُ إلا إليه، لكن هل عيب أم جُرم أن أبحث عن مُرشدِي؟!

قال: ليس عيبًا ولا جُرمًا، إنما فعلتِ ما بوسعكِ، والآن اتركي الأمر لله كما تركه يعقوب، فأعاد إليه يوسف وأخيه، وبصره. تصبّري بالنور، والجئي إلى الحي القَيوم، إن كان مقدرًا لقاؤكم في دنيا الزوال فهو مقدر، أبشري. وإن كان في الآخرة فـ في الجِنان خير المُستقر.

قلت: لكن العجوز أخبرتني بغير ما قلتَ لي.

قال: العجوز يا ابنتي هذا هو حالها، من يأمنها؟ صدّقي ما يقوله قلبكِ، وامشي على خُطى يعقوب، وأتبع قائلًا: قد تيقن يعقوب حياة ابنه بإحدى الثلاث: إما بالرؤيا، وإما بإنطاق الله تعالى الذئب، وإما بخبر ملك الموت إياه بأنه لم يقبض رُوحه.

قلت بلهفة: وأنا بما أتيقن حياته؟

قال مستبشرًا: بالأولى يا ابنتي، بالأولى.. أنتِ لكِ أمل فعيشي به، أنتِ لست كمن انقطع عنهم الأمل، ولستِ وحدكِ الفاقدة. مرّ عليّ الليلة الكثير من الحَزانى، لرحيل الأحباب عنهم.

قلت: حدثني عن الذين مروا عليك!

قال: مرت عليّ الليلة من فقدت والدها، ومن فقدت والدتها، ومن فقدت أخيها وزوجها....

كلهم أخبروني عن الوجع الذي أصابهم لحظة خروج ذويهم محمولين على الأكتاف، أخبروني عن خذلان الأحبة لمجرد رحيل مصدر الأمان والعطاء، وعن الأمل الذي ينتظرونه كي يمرَّ ولا يمرّ، وعُيونهم الذابلة التي طُرِحَت صفحة على الغيم، والأسماء، آهٍ من الأسماء، أسماء الراحلين من أحبائهم، كلٌّ يُكَنَّى بوجعه، قد يخفيه أم لا يخفيه. فكل

قصص الفراق لا ترثي لحظة الوداع الأخير.. لكنهنّ صابرات شاكرات حامدات، لله طائعات.

قلت: لكن تنتظرني مكلومة تبكي النجوم كل ليلة وتقول: هل رأيتم قمرِي، مر من هنا! أريد إرجاعه معي إليها.

قال: نعم أعرفها.

قلت: من أين تعرفها!

قال: كنتُ معها عندما أغلقت الباب ومسكت النور وهي لا تعرف قراءته وتدعو الله بي، كنتُ معها حينما استوطن اليأس قلبها فتوضأت وقامت ليلها، فيها نبع خير لن ينضب بإذن الله، لا تخافي عليها أنا معها.

سألته: من أنت؟

قال: ألم تعرفيني بعد؟!

قلت: لا!

رد وقال: أنا الصبر يا ابنتي، أنا من تحملني صدور المؤمنين، أنا من يتمسك بي الحزانى والتائهون، أنا من كنت معه نال وفاز، ومن تركني خسر وخاب.

سألته: وما علي فعله الآن؟

قال: تمسكي بي حتى يأذن الله لما يهفو إليه قلبكِ..

تمسكت به كما تمسكت بالنور وسلكنا طريقنا، وبدأ يتلو بصوتٍ يأخذ الألباب. ﴿وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ (127) إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ (128)﴾..

لكن من شدة تعبي في إمساكي به وتعب خُطواتِي، قلت له: يبدو أن هذا الطريق طويل، ومحال أن أستطيع الإمساك بك فقد تعبت.

قال: أترغبين في إكماله وحدك دوني؟ انظري خلفكِ، المرأة العجوز تنتظر انسحابي، وستخيبين.

قلت: لكن يا سيدي هذا الدرب طويل.

قال: نعم، لكن سيقصر.

سألته: والمُرشد؟ هل نعود من دونه؟!

قال: لن نعود من دونه، سنجده في آخر الدرب.

وأنا وسط الحيرة من كلام الشيخ، ومن المرأة العجوز؛ جاء طيف المُرشد من بعيد مبتسمًا، فضحك ثغري مستبشرًا ويائسًا.

رجعت، لكن هذه المرة أحمل معي النور والصبر، واليقين بوعد الله، وبأن الدنيا دار مفر لا مقر، وأننا كلنا راحلون لله راجعون. وأن دربنا في الدنيا دون كتاب الله ودون زاد الصبر، كَالغوص في الظلام، وأن الخير حتى وإن غاب

فإنه حي لا يموت، وأننا مهما أحببنا وعاشرنا لابد أن يدق يومًا ناقوس الإنذار مُعلنًا عن رحيل الأحباب.

....

قد عَزَّ واللهِ في الدّنيا اللّقاءُ بكم
فليتَنا في جِنان الخلدِ نجتمعُ

فلستُ أبصرُ في هٰذي الحياة سوى
ضيقٍ، وفي جنَّة الرّحمٰنِ مُتَّسَعُ

نادتني وقالت: اجمعي الزاد ولا تحزني.

رددت وقلت: لا تحسبي الفراق هيّنًا، فلو كان ذلك، ما ابيضت عين يعقوب وبلغ الحزن به منتهاه على يوسف.

قالت: هي أيام تمضي، وسأنقضي بأفراحي وأحزاني، وستنتهي الأعمار بطولها وقصرها، ويلقى الجميع ربهم، وحينها لا ينفع مال ولا بنون، إلا من أتى الله بقلبٍ سليم.. إلا من أتى الله بقلبٍ سليم.

انتهى.

الجزء الثاني

الخواطر

الغصن الهزيل

وها هي العابرة تسير في حال سبيلها بعد رحيل الخليل، معلنة عن السِّلم والسلام، وأن ما عند الله خير وأبقى، فلا تحسد، ولا تُنافق ولا تكيد، همها ذنبها، وشُغلها ربها.

ولأن العابرة لم تُدخل العجوز قلبها، حاولوا إفساد قلبها عليها، فزهد العابرة في الدنيا كلفها الكثير.

لكن الابتلاء سنة الرسل والأنبياء وأتباعِهم من أهل الإيمان والإحسان. فها هو الابتلاء دق معلنًا عن قدومه إليها، لتسقط كعصفورة على غصنٍ هزيل.

ذابلة كالغصن الرقيق الذي سقطت عليه.

تقاوم بين الحياة والرّحيل.

لكن ماذا يحصل للعصفورة!

يرفعها الله بالطريقة التي ظنوا أنهم سيسقطونها بها ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ ... ليس لك حق أن تؤذي روحًا تنبض حُبًا وإيمانًا بالله، قال النبي ﷺ فيما يرويه عن ربه عز وجل: «من عادىٰ لي وليا فقد آذنته بالحرب».

هم يحاربونها والله يحاربهم! الله كم هذا مريح لعباد الله المؤمنين.

كانت تستطيع العابرة أن تصبح قلبًا منزوع الرحمة، توجعهم كما أوجعوها وتشفي غليلها.. لكن أتعرفون أين الفرق؟!

التقوى..

هي مسلمة منهج حياتها أن تضع حد الشرع فاصلًا بينه وبين تصرفاتها!

رسمت بالتقوى حد الموازين حتى إن لم تحب، لم تظلم.

هي ضعيفة أمام الله، تخاف الله ولا تخاف شيئًا آخر.

لم يكن في تلك الليالي المُظلمة العابسة المبكية إلا الله، تهرول إليه بنفسها الضعيفة ليربط على قلبها. كانت لا تزال متمسكة بحبل الرجاء، وإن كان الغصن قد سُقِط بها، ترفع أكفها للسماء وتردد: حسبي الله ونعم الوكيل، الشافية الكافية لها.. هل رُدت خائبة؟! أكيد لا. ردّدتها ليعينها الله على الوقوف، وليأخذ كل كائد جزاءه في الدنيا! وفي الآخرة.

فقد قالها سيدنا إبراهيم -عليه السلام- عندما بدأ القوم بالتجهيز لقذفه في النَّار، فقال: حسبي الله ونعم الوكيل.. إبراهيم عليه السلام كان يعلم أن الله لن يتخلى عنه في هذا الوضع الصَّعب فسلَّم كامل الأمر لربه تعالى...

تدبري التسليم.. تدبري معي "حَسبي الله" وقوتها التي تغلب الكائدين وتردهم خائبين!

جاءه جبريل عليه السلام قال له: أتحتاج عونًا يا إبراهيم؟

لكن إبراهيم عليه السلام أراد الأكبر فقال له: أما منك فلا وأما من الله فَنعم.. أتدرون ما وقع بعد ذلك؟!

الله عز وجل لم يبعث له ملائكة أو جنود آخرين.. وإنما جعل النار نفسها التي قذفوه فيها لا تحرقه.

قال تعالى: ﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ (69)﴾.

فكانت النار بردًا وسلامًا عليه... إنما أمر الله إذا أراد أمرًا، فإنما يقول له كن فيكون. كل ما خططوه، وكل ما جمعوا من حطب ليحرقوه، لم يصبه شيء، فقد سلمَه الله من كل شر.

لذا، فإن الأذى الذي يصيبك كله خير... أنتِ فقط سلّمي الأمر لرب الأمر، وسترين بعينيك كيف يقلب الله الأمور لصالحك ويرد الكيد في نحر الكائد.!

إلى دار البقاء

مات أبوها وانقضى الأجل وغاب عنهم تمامًا إلى الأبد، هكذا فجأة مرض.. ثم توفي دون وداع ودون موعد.

رغم قوتها وتمسكها وصبرها عند المصائب، إلا أن فؤادها الجريح يتألم مع كل نبضة.. فأنى لهذا الفؤاد أن ينسى الوجه العطوف السمح، والقلب الرحيم الذي يتسع لكل همومها..

شعور فراق الأحبة أكبر من أن يُكتب بحرفين.. والجريح لفراق أحبابه وفجعته فيهم، لا يؤنسه في الدنيا شيء إلا تمنيه لقاءهم على خير في الجنان.

فيا حرقة ما قد يلاقي المرء من فقد أحبابه، فما بالك بالأب والأم؛ والأخ والأخت...!

لكن ما يصبرهم عن رحيل الأحباب مبكرًا، هو، لعلهم أحبوا لقاء الله، فأحب الله لقاءهم.

سألتهن وقلت: حدثوني عن ألم الفراق!

قالت: يوم فراقه، ما زلت أذكره، تماسكت جدًا فلم أعد قادرة على الصمود، ذهبت بعيدًا وبكيت حتى بللت الثرى.

قالت: آخر قبلة وضعتها على جبينه وهو ميت كان جبينه باردًا كالثلج.

قالت: أحدثك عن مقطع صوتي أحتفظ به منذ سنين، أختبئ في ركن بعيد وأستمع، لكيلا أنسى صوته.

...

أولئك الذين بكوا عند الفراق، ومرت السنين ولا يزالون على حال الفراق كأول مَرة، لا يرجون شفقة ولا مد يد عون من أحد، الأمر أكبر بكثير مما تتوقعون..

الفراق لم يكن يومًا هينًا على أحد.

ولو كان كذلك، ما سمي العام الذي ماتت فيه أمنا خديجة رضي الله عنها، وعم الرسول ﷺ عام الحزن، وما كان حزن سيدنا يعقوب عليه السلام، على فراق يوسف حتى ابيضت عيناه.

الفاقد إن طال به الحزن ليس لأنه غير راضٍ بقضاء الله، بل حزنه على خطاه في هذه الحياة دونهم. وهم كانوا أمنه وأمانه في هذه الدنيا بعد الله وكتابه.

فلا تستهينوا بهم، مروا خفافًا..

"أحبب من شئت فإنك مفارقه"

لا أملك إلا أن أقول لكم: أحسنوا لمن تحبون فـإن الشـوق بعد رحيلهم لا يُحتمل..

فاللهم أفرغ عليهم صبرًا.

الصبر

يا صديقتي، لا يُمكن أن تكملي الطريق الموصل إلى الله وأنتِ لا تحملين الصبر معكِ. لو سألتم العابرة عما تعلمته في ذلك الدرب لقالت: "الصبر". قد تيقنت أن الحزن والابتلاء لحظة كالفرح، يُعاش بالرضا والحمد والصبر الكثير. فهي تيقنت أنه ليس في الدنيا هناء، وأن الصبر أنواع: الصبر على الطاعة، والصبر على المعصية، والصبر على الأذى، والصبر على الأقدار. الصبر على الطاعة هو تحقيق العبودية لله، والصبر على المعصية لكمال العبودية، والصبر على الأذى وعلى قضاء الله في الابتلاء الذي وضعكِ فيه الحق سبحانه.

والابتلاء من مرض، وفراق، وغير ذلك. ما هو إلا سُلمًا ليقودكِ به إلى الجنان، وهكذا بقية الابتلاءات حتى توصلك للجنة إن صبرتِ واحتسبتِ.

قالت أعرابية مبتسمة حينما توفي ابنها الصغير: "هناك في الآخرة سأطرق باب الجنة وسيفتحه لي، هكذا الصبر عند المصائب". وقد قال رسول الله ﷺ: "إنَّ اللهَ إذا أحبَّ عبدًا ابتلاهُ، وإذا ابتلاهُ صبَّرَ".

هناك ابتلاء يأتيك رحمة من الله، وأنتِ ترينه مصيبة نزلت بك، وهو في الأصل رِفعة لكِ، وعين نجاتك.

فهناك ابتلاء يأتي ليكفر عنك ذنوبكِ ويزيل همومكِ... والنجاة كلّها في تقوى الله عز وجل وفي الصبر عند حلول الابتلاء. ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا (2) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾.

جاء في التفسير أن من يتق الله فيما أمره به، وترك ما نهاه عنه، يجعل له من أمره مخرجًا، ويرزقه من حيث لا يحتسب، أي: من جهة لا تخطر بباله. عن أبي ذر قال: جعل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يتلو علي هذه الآية: (ومن يتق الله يجعل له مخرجًا ويرزقه من حيث لا يحتسب) حتى فرغ من الآية، ثم قال: "يا أبا ذر، لو أن الناس كلهم أخذوا بها كفتهم". وقال: فجعل يتلوها ويرددها علي حتى نعست.

وها هو رسول الله ﷺ يعلمنا هنا معاني الصبر..

بعد وفاة زوجته خديجة وعمه أبي طالب، شعر النبي محمد ﷺ بحزن شديد؛ فقد كانا من أعز الناس على قلبه ومن أكبر الداعمين لدعوته. ومع ازدياد تعنّت قريش وإيذائهم له، قرر أن يخرج إلى مدينة الطائف، علّه يجد فيها من يؤمن برسالته ويساعده. لكن أهل الطائف لم يستقبلوه كما كان يأمل؛ بل قوبل بالرفض والاستهزاء. وقام بعض الصبية برميه بالحجارة حتى نزف جسده الطاهر.

ومع ذلك، لم يرد لهم الأذى ولم يدعُ عليهم. بل عندما أتاه ملك الجبال يعرض عليه أن يُطبق عليهم الجبال، قال له النبي الكريم: "اللهم اهدِ قومي فإنهم لا يعلمون."

لم يفقد النبي ﷺ الأمل، بل استمر بالدعاء لهم، لعلهم يهتدون إلى الحق. وبالفعل، بعد سنوات، دخل الكثير من أهل الطائف في الإسلام.

هذه القصة تعلمنا الصبر في مواجهة الصعاب وأن الرد على الأذى بالرحمة قد يكون له أثرٌ إيجابي على الآخرين.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ومن يستعف يعفه الله، ومن يستغنِ يغنِه الله، ومن يتصبر يصبره الله، وما أعطيَ أحد عطاء خيرا وأوسع من الصبر».

فالصبر يا صديقتي هو السلاح القوي المتين، ومن كان زادها الصبر أبدًا لن تخيب في دربها وعد الله، ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (155)﴾.

تفقد الأحبة

تفقّدي أهلكِ وصحبتكِ وأحبتكِ..

ولا تنسي فضلهم عليكِ.. ولا تجعليهم كصفحة مطوية على رفٍ قديم.

هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم كان "يتفقّد أصحابَه، ويسأل الناسَ عمَّا في الناس".

هل نسيتِ الصدر الحاني بعد أمكِ، أختك التي وجدتها في كل خير، أيام طفولتكم، خوفها عليكِ وتِحنانها الذي يُشبه حنان أمك.

قاطعتِها لسوء ظنٍ؟ أم سوء فهمٍ؟ والله لا هذا ولا ذاك يجعلكِ تفرطين فيمن لن يتكرر في حياتك.

أخوكِ الذي كان بعد الأب أبًا، سندًا لا يهتز ولا يميل، يخاف عليك كما يخاف على ابنته، وأنتِ ابنته البِكر قبل ابنته. غضبتِ منه؟ هل غيّبتِ وجهكِ عنه؟ وهو الذي كان يرى وجهكِ الطفولي فيبتسم قلبه قبل ثغره.

هل تفقدتِ حالهم؟ فعلامة صدق المحبة.. خشية الغياب.. خشية الرحيل الأبدي دون لقاء!

وكيف حال صحبتكِ؟ الرفقة الطيبة التي وجدتها في كل خير وكأن الخير مقرون بها.. هل تفقدتها؟

فعلامة حسن الصحبة أن تتفطّني لغياب صاحبكِ الذي غاب.

لعل غيابها مرض منعها من التواصل معكِ، ولعلها في كرب، فتقفين معها، أو حزينة تخففين عنها، أو محتاجة فتعينيها!

نحن المسلمون يا صديقتي.. صنع منا رسول الله ﷺ مجتمعًا يؤازر بعضهم بعضا.. كالجسد الواحد..

قال رسول الله ﷺ: «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كَمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى».

وكان رسولنا الكريم ﷺ رغم كثرة مشاغله وعظم همومه لا ينسى تفقد أصحابه..

يروى أنه كان يتعهد الأنصار ويعودهم ويسأل عنهم..

وأنه افتقد ثابت بن قيس مدة فسأل عنه.. فأعلموه أنه يجلس حزينًا في بيته بعد نزول الآية ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ﴾.. لأنه كان عالي الصوت وظن أن عَمله قد حبط وأنه من أهل النار.. فأرسل رسول الله إليه من يبشره بأنه من أهل الجنة..

وكان رسول الله ﷺ يتلطف بخواطر أصحابه ويتفقد من انقطع منهم عن مجلسه، وكثيرًا ما يقول لأحدهم: لعلك يا أخي وجدت مني أو من إخواننا شيئًا؟ وكان ﷺ إذا فقد الرجل من إخوانه ثلاثة أيام سأل عنه، فإذا كان غائبًا دعا له، وإن كان شاهدًا زاره، وإن كان مريضًا عاده.

تفقّدي أحبابكِ فيعلو قدركِ عندهم.. وتفقّدي صويحباتكِ فيصفو لكِ ودّهم.. وتفقّدي إخوانكِ حتى يحرصوا أشد الحرص ألا يفقدوك.

فكما جاء في الأثر.. "من يتفقّد يُفقد".

وأحسنوا الظن عند غياب أحد الأحبة.

لا تحزن

﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ شعور غريب يتملكني في كل مرة أسمع هذه الآية هل هو شعور اليقين الذي يُطَمئن بهِ الصّديق صديقه..

أم أن ذاك الشعور يأتي عندما تصل لتلك النتيجة الحتمية التي لا شك فيها.. أن الله وحده معك، وكفى.

فتردد بصوت مُطمئن، إن الله معنَا، وهما في الغار يقول أبو بكر الصديق رضي الله عنه، يا رسولَ الله، لو أنّ أحدَهُم رفع قدَمه رَآنَا، قالَ: ما ظنكَ باثْنَيْنِ الله ثَالِثُهما.. يا له من يقين وثِقة بالله سُبحانه يعجز به اللسان عن الكلام..

وأقف مذهولة ويُؤخَذ بمجامِع قلبي عندما أسمع، "لا تؤذوني في صاحبي". يقصد ﷺ سيدنا أبو بكر رضي الله عنه، رغم تسامحه في حق نفسه وعفوه المباشر ﷺ عمن ظلموه إلا أنه لا يرضى أن يؤذوه في صاحبه. يا لها من صحبة تجعلنا نعيد النظر في أصحابنا، هل هم بالفعل أصحاب؟

كانت العابرة فيما مضى تدعو الله بالرفقة الصالحة ولا تبحث عنها، كانت تدعوه بقلب من لم تعد له ثقة بأحد لكنه محسن الظن بالواحد الأحد، أنه سيختار لها ولا يُخيرها،

فوهبها من لدنه خير العَوض، إن رأت غياهِب الحزن استوطنت قلبها قالت أم يعقوب فصبر جميل، لا تحزني إن الله معنا. إن رأتها على خير شَحَذَت هِمَّتها، وإن كانت على غير الصوابِ نبهتها، رأت الصحبة في كل خير، في الأخذ بيدها لله، في نوائب الدهر، وفي السعادة، ولأنها وجدتها في كل خير، سمتها وجه الخير.

...

فالحب في الله شيء عظيم وليس كلمة عابرة. كأن تحب لصاحبك ما تحب لنفسك، تفرح لفرحه كأنك من جبر الله قلبه، وتبكي لمصابه كأن السهم صُوِّب اتجاهك، وتحزن لعثرته وتحاول الأخذ بيده كأنك من تعثرت خطواتك. أن تذب عن عرضه في المجالس وعدم غيبته، والاستهزاء به، أن تحفظ سره ولا تؤذيه بلسانك وأفعالك، أن تتفقده إن غاب ولا تهمله، لأن كل ما يجمعكما حب الله، لا حب دنيا ولا حب من أجل خدمة أو متاع فانٍ. لله ومن أجل الله، لأن كل حب سببه الدنيا هو حتمًا زائل ولا يدوم، فما كان لله دام واتصل، وما كان لغير الله انقطع وانفصل.

لذلك بعض الرُفقة في حياتِنا رحمة هِبة من الله، سلوى للقلب إن حزن وملاذٌ إن فزع.

فاختاري رفقتكِ بِعناية، فالصاحب ساحِب لخيرٍ أو لِشر.!

الجزء الثالث

لا تستحقين العناء

قد تأتيك وساوس النفس والشيطان أنكِ لا تستحقين العناء، بل تستحقين الراحة والسعادة.

وقد يقولون: هل أنتِ تلك العابدة الزاهدة؟ فما بال البلاء يلحق بكِ؟ فإما أنكِ مخطئة أو أنكِ شقية!

ولكن البلاء، يا صديقتي يتفاوت حسب قوة الإيمان وضعفه، فمن رضي فله الرضا، ومن سخط فله السخط. الابتلاء هو سنة الله في خلقه، فإن لم نُبتلَ في الدين، نُبتلى في الدنيا وما يتعلق بها من مال، وأولاد وأزواج وصحة. يا صديقتي انظري لمن همهم أكبر من همك، يصغر في عينيك ما ألم بكِ. انظري الى جراح أمتك الكثيرة التي لا تُحتمل..

يا صديقتي، الابتلاء في أمور الدنيا هيّن، وإن كان صعبًا. لكن الابتلاء في الدين والأخلاق ليس بالأمر الهيّن، بل هو من أصعب المِحن. لذا، اسألي الله ألا يجعل مصيبتك في دينك ونفسِك، وكل شيء من أمور الدنيا يهون بإذن الله.

أذية الناس لكِ

أذى الناس يخرم الروح، والقلوب الحساسة تتأذى أكثر من القلوب الفظة الغليظة. كلامهم يجعلكِ تشعرين بالضيق وكأنكِ تتنفسين من ثُقب إبرة.

لكن؛ هل سمعتِ كلام الحق سبحانه:» ﴿وَدَعْ أَذَاهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ «استشعري الآية بقلبك وكأنكِ تسمعين هذا الأمر الرباني الجميل لأول مرة. دعي أذى الناس وتوكلي على الله. لا تتحدثي عنهم ولا تعيريهم اهتمامًا ولا تردي، نعم ستحاصرك التساؤلات والغصة، ما الجرم الذي اقترفته في حقهم.؟!

لمَ يؤذيني من مددتُ له يد العون في ضيقه، وجعلتُ من كتفي براحًا له من هموم وكدر الدنيا؟ لمَ يتلذذ بالإساءة إليّ ويردّ لي الإحسان سوءًا؟ لمَ يقول عني ما ليس فيّ؟ لمَ ولمَ ولمَ... لكن التوجيه الرباني المعجز هو الدواء، لأن الجواب عن تلك (لماذا) لن تجديه، ومواجهة من هذا طبعه لن تفيدك بشيء، إلا أن تؤذيهِ كما آذاك...

وهذا أيضًا يجب الترفع عنه. وقد جاء في تفسير الآية أن أمره سبحانه وتعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم بترك الأذى يحمل المعنيين:

ألا يكتـرث لأذى المـؤذين وأن يترفـع عـن إيـذائهم كمـا آذوه...

كم هو مريح هذا الدواء الرباني!

فهذه هي نصيحتي لكِ، يـا صـديقتي: ﴿وَدَعْ أَذَاهُـمْ وَتَوَكَّـلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا (48)﴾.

هجر الناس لكِ

مَالكِ والنَّاس إن غَادَرُوكِ، فَهُم يَوْمَ القِيَامَة يَفِرُّونَ مِن ذَويهم فكيف بِكِ أنتِ، تَزودي لِيومِ غَدٍ، وانسي عنكِ النَّاس ومَا مضى، ولا تأسيّ على ودٍ في غيرِ محلِّه غَدَا.. ﴿وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ (6) وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ (7)﴾..

بالفِطرة نحنُ نميل الى القلوب الطيّبة التي لا تعرف للخذلان والطعن والجرح طريق، نميل لمن نطمئِن لَهُم ومعهم، لأن كل ليّن هيّن تحبه القلُوب وتميلُ إليه، نميل لِمن يفهمنا ويقدر طِيبتنا وصِدقنا، مَن يحنو إن قسى النّاس لا يقسو والنّاس، من نشعر معهم بالطمأنينة والأمان.

نبحث عنِ الأمنِ والاطمئنان..

وهذا يا صديقتي لن تجديه إلا في القرب من الله، في سجدات القيام، وصفحات القرآن، وصدور الأمهات؛ دونهم لا أمان ولا اطمئنان.!

العُزلة خَير

في العُزلة تسترجع النفس غربتها الجميلة، وتستعيد ذكرياتها الطيبة.

وأنا دائمًا أحب العزلة تلك التي تقرب من الله، وأحب أولئك الصالحين، وأحب لحافًا وحصيرًا وليلًا طويلًا نتدبر فيه كلام الرحيم، ونختم المجلس بصلاة فجر ودعاءٍ جميل. أحب من لا يخلو حديثه من ذكر الله، ولسانه رطب بذكره، ومن ألتمس فيه الصدق من كلامه.

أحب من يدلني على الله إذا ضللت الطريق، وينبهني ويعظني ويقول: يا فلانة، هداكِ الله، اتقِ الله. فأقول من ورائه: اللهم اجعلني من المتقين. ويقول: يا رفيقة الدرب، إن حلمنا واحد ودربنا واحد ومقصدنا واحد هو الله.

ينشرح برفقته صدري وقلبي، وتصبح الحياة طيبة، وإن بدَا للعابرين غير ذلك.

أليس للمؤمن جنة الإيمان في قلبه؟

فما أجمل الحياة مع الله ومع أناس يذكروننا بالله، وما ألذ العيش مع الله؛ فإنّ أسعد اللحظات التي يعيشها المؤمن في حياته، هي تلك التي قال عنها معاذ بن جبل رضي الله عنه عند ما حضرته الوفاة: "اللهم إنك تعلم أني لم أكن أحب البقاء

في الدنيا لا لجري الأنهار، ولا لغرس الأشجار، ولكن كنت أحب البقاء لمكابدة الليل الطويل، ولظمأ الهواجر في الحَرِّ الشديد، ولمزاحمة العلماء بالرُّكَب في حِلَق الذكر".

اللهم لا تحرمنا ذكرك وصحبة تذكرنا بك، ومجلسا لا يخلو من اسمك، واهدِنا اللهم هداية لا زيغ ولا ضلال ولا شتات بعدها، وثبتنا اللهمّ على الطريق المستقيم.

الخوف

أتدري ما الخوف؟ هو أن تموتي وقد ظلمتِ مؤمنًا وكسرتِ خاطره وطعنتِه، ولَمَّ الجرح في قلبه يبكيه كلما تذكره، وأنتِ وافتكِ المنية وهو لم يسامحك بعد، حتى إن سمع خبر وفاتك ينعقد لسانه من الدعاء لك، لأن أول ما تذكر من أفعالك ظلمكِ له.

دخلت امرأةً النار وعُذّبت فيها بسبب قطة حبستها فما أطعمتها ولا سقتها ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض كما قال الصادق المصدوق عليه الصلاة والسلام! فكيف بروح من ظلمت، إذ تنقلب حياته رأسًا على عقب بظلمك له؟

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من كانت له مظلمة لأخيه من عرضه أو شيء فليتحلله منه اليوم قبل ألا يكون دينار ولا درهم، إن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته، وإن لم تكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه".

فنسأل الله أن يغفر لنا، ويرزقنا القوة لنسامح ونعفو ونصفح وننسى، وأن نخرج من الدنيا خفافًا لا لنا ولا علينا.

الراحة في الجنة

أراكِ تُبصرين مقاعدَ كثيرة، لكنَّ الراحةَ ليس لكِ فيها نصيب، فتجلسين مكانكِ دون خطوة للأمام، بنفسِ القلب، بنفس الذكريات الأليمة والدموع المنسكبة. وكأنه مكتوب على جبينك الفراق والخذلان وتلقي الأذى. وأنتِ الحيية الستيرة العفيفة التي تمشي في الدنيا بقلب يخاف الله ويتقيه في خَلقه.

اعلمي أن الدنيا جُبلت على الكَدَر ولا راحة للمؤمنِ إلا في الجنة،

عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: "من يدخل الجنة ينعم ولا يبأس، لا تبلى ثيابه ولا يفنى شبابه، في الجنة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر." -صحيح مسلم

لكنّ قلوبنا الضعيفة تتمنى عدم الأذى، عدم الفراق، وعيشًا منزوع الدمع في الدنيا! وهذا لا يُمكن، قال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ ۗ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾ (214 البقرة).

ألم تكوني تقولين من قبل، ليتني كنت مع الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته، وعلى عهده وزمانه؟!

وها أنتِ في زمنِ المِحن! إذن فاصبري وصابري.

وعفا الله عمن أذى قلبكِ وأحدث بداخله جروحًا وندوبًا، فإني أعتذر لكِ نيابةً عنهم وأقول: ستُشفى جراحكِ بالقرآن وحلقات القرآن، بإذن الله!

أحبُّ أن أكتبَ لكِ فقط لتعلمي أن الخير لا يزال ينبض في قلبكِ، وأراد الله بكِ خيرًا وأنتِ تقرئين هذا، وأن قلبك لم يتلوث رغم ما لقيتِه من الناس من أذى، وأنكِ بخير ما دام قلبكِ ينبض إيمانًا ورضًى بالأقدار.

فبِسم الله على قلبك.

عوض اللّه

عوض الله إذا حلّ على حين غفلة وحزن وكرب، يدهش يا صديقتي.

وليس من الضروري أن يكون العوض من جنس الفقد، لكن هناك عوض يجعلكِ تتيقنين أن المنع والعطاء بيد الله وحده، ولا قوة على وجه الأرض تستطيع أن تمنع عنك خيرا أراد الله أن يسوقه إليك.

فالمعطي -سبحانه- هو الذي يعطي الدنيا لمن يحب ومن لا يحب، ولا يعطي الآخرة إلا لمن يحب، وقد يكون باطن المنع العطاء، قد يمنع العبد من كثرة الأموال ويعطيه الكمال والجمال، فالمانع هو المعطي؛ ففي باطن المنع عطاء وفي ظاهر العطاء بلاء..

المانع، أي: الذي يمنع البلاء حفظا وعناية، ويمنع العطاء عمن يشاء ابتلاء أو حماية.

و "المانع" هو الذي يمنع أولياءه ويحوطهم وينصرهم، من المنعة، أو: يمنع من يستحق المنع، من المنع، أي: الحرمان؛ لأنّ منعه -سبحانه- حكمة، وعطاؤه جود ورحمة، فلا مانع لما أعطى ولا معطي لما منع.

...

وعطاؤه -سبحانه- واسع ليس له حد ولا عد، يعطي من الدنيا عباده جميعًا المؤمن منهم والكافر، أما في الآخرة فيخص بعطائه وفضله أهل طاعته، قال الله -تعالى-: (كُلًّا نُمِدُّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا * انْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا) [الإسراء:20-21]، وعطاؤه -سبحانه- واسع يشمل كل العطايا والهبات، وأعظمها عطية الإيمان والهداية.

فالعوض أحيانًا قد يكون على هيئة إيمان واستسلام داخلي بالأقدار، وقوة ربانية تبدئين بها من جديد.. وقد يتجلى في تفاصيل وأيادي حانية تجعلكِ تطمئنين، ويحيا فيكِ شعور الأمان الذي فُقد في الطريق الوعرة، ويتلاشى كل خوف وشعور ثقيل، حتى تصلي إلى مرادكِ بكل أمان، ويتكلل تعبكِ بالنجاح.

فالعوض الذي يأتي من الله هو نفسه الذي يقدمه لك العبد، قد ساقه الله لكِ على أيديهم.!

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: "كُنْتُ خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا، فَقَالَ: يَا غُلَامُ إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ، احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الأَقْلَامُ وَجَفَّتْ الصُّحُفُ.

فالناس بلا شك ينفع بعضهم بعضا، ويعين بعضهم بعضا، ويساعد بعضهم بعضا، لكن كل هذا مما كتبه الله للإنسان، فالفضل فيه أولا لله عز وجل، هو الذي سخر لك من ينفعك ويحسن إليك ويزيل كربتك.

وكذلك بالعكس، لو اجتمعوا علي أن يضروك بشيء، لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك.

والإيمان بهذا يستلزم أن يكون الإنسان متعلقا بربه، ومتكلا عليه، لا يهتم بأحد، لأنه يعلم أنه لو اجتمع كل الخلق علي أن يضروه بشيء، لم يضروه إلا بشيء قد كتبه الله عليه، وحينئذ يعلق رجاءه بالله ويعتصم به، ولا يهمه الخلق ولو اجتمعوا عليه "

ولهذا نجد الناس في سلف هذه الأمة لما اعتمدوا على الله وتوكلوا عليه، لم يضرهم كيد الكائدين، ولا حسد الحاسدين: ﴿وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ (120)﴾.[1]

[1] (رياض الصالحين).

الجزء الرابع

فتشي في قلبكِ

هل تسعين للآخرة؟ هل سيركِ كله لله وفي مرضاته؟ صديقتي، هل عرفتِ الغاية التي خُلقْتِ من أجلها؟ هل تسارعت خطواتكِ وتراجعتِ عن كل ما يُلفت القلب عن غايته الأسمى ويجعله حبيس هواه، والنفس حبيسة شهواتها؟ هل عرفتِ أنكِ لله وإليه راجعة، وأنكِ في دار عملٍ ومفرٍ لا مقر؟ زادكِ وتزودكِ للآخرة يجعل من يراكِ يغبطكِ ويسارع ليتسابق معكِ لِتفوزا معًا.

وعلى ذكر هذا، نتذكر حديث الرسول صلى الله عليه وسلم.

عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (مَنْ كَانَتْ الْآخِرَةُ هَمَّهُ: جَعَلَ اللَّهُ غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ، وَجَمَعَ لَهُ شَمْلَهُ، وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ، وَمَنْ كَانَتْ الدُّنْيَا هَمَّهُ: جَعَلَ اللَّهُ فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ، وَفَرَّقَ عَلَيْهِ شَمْلَهُ، وَلَمْ يَأْتِهِ مِنْ الدُّنْيَا إِلَّا مَا قُدِّرَ لَهُ).

اجعلي الآخرة همك، وارجعي إلى الله بصدق، وحسّني نواياك وأفعالك وأقوالك، تكونين في زُمرة السُعداء لا الأشقياء.

علمني رسول الله ﷺ

يا صديقتي.. كلما اقتنعتِ بما لديكِ من رزق أغناكِ الله، وكلما تمنيتِ الخير لغيرك عوضكِ الله، وكلما أدخلتِ السرور على مؤمنة أسعدكِ الله، فَهذا منهاج حياة لِقلوب نقية جُبِلَت على حب الخير للغير وعدم تمني زوال النِّعَم..

فقد علمني ﷺ أني لن أكون مؤمنًا حتى أعيش مُحِبًّا.

فقال ﷺ: (لا يُؤمِنُ أحدُكم حتى يُحِبَّ لأخيه ما يُحِبُّ لنَفْسِه)[1]

وعلمني ﷺ أن مهر المحبة ومفتاح القلوب؛ إفشاء السلام

فقال ﷺ: (.. ولا تؤمِنوا حتَّى تَحابُّوا، أوَلا أدلُّكُم علَى شيءٍ إذا فعلتُموهُ تحابَبتُم؟ أفشُوا السَّلامَ بينَكُم)[2]

وعلمني ﷺ أني إذا أحببتُ شخصًا آتيه مسرعًا لأخبره؛

قال ﷺ: (إذا أحبَّ الرجلُ أخاه فليُخبِره أنه يُحِبه)[3]

---

[1] رواه البخاري.

[2] رواه مسلم.

[3] رواه الترمذي.

وعلمني ﷺ أن الهدايا مرسال الحب؛ بأي لونٍ كانت، وبأي شكل، وفي أي وقت..

فقال ﷺ: (تَهَادُوا تَحَابوا)

وعلمني ﷺ أن الله يحبني إذا عشتُ بالحُبّ فيه..

فقال ﷺ: (وَجبَتْ مَحبَّتِي للمُتحابِّين فِيَّ..)[1]

وبشرني ﷺ بأني سأُحشر معه إذا أحببته حقًّا؛ فجزاء محبته عظيم، وليس سلعة من الأسواق!

قال ﷺ: (المرءُ مع مَن أحب).[2]

وعلمني ﷺ أن كل حب نهايته العداوة!! إلا حُبًّا واحدًا؛

قال ﷻ: ﴿الأخِلّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إلا الْمُتَّقِينَ﴾.

---

[1] صحيح الجامع.

[2] رواه البخاري.

تعاملي مع اللّه

العبادات ليستْ فقط صوم وصلاة وصيام، العبادة حتى في تقوى الله عز وجل في خلقه، في تعاملك معهم في نصحك لهم، وفي مخالطتكِ لهم، فهناك من هي مضطرة للتعامل مع نساء عائلتها، في الحي، في العمل.! في أي مكان اعزمي أن تمضي في طريقك بنية أنكِ ستعاملين الله في تعاملاتك مع الناس.!

لا تكيدي، لا تكذبي، لا تنافقي، لا تؤذي.!

استحضري النية أنك ترجين من الله الثواب في تعاملك معهم، وفي صبرك على ردود أفعالهم.!

وأنك ستعاملينهم معاملة الأنبياء.. بالرحمة والمحبة والعطاء وحب الخير لهم..

وهذا يحتاج الصبر.. الكثير من الصبر..

ولا تعامليهم معاملة من ينتظر نفس التعامل.!

إن أحسنت أحسنوا...!!

لأن هناك من تحسنين إليها ثم تردها لكِ مَضرة وسوءًا...

لذلك استعيني بالله واصبري على أذى الخلق ولا تحتكّي قدر المستطاع، والمؤمن الفطن الذي إن رأى الضر، توقف عن الإحسان الزائد واستعمل الهجر الجميل الذي لا ضرر فيه ولا ضِرار.

﴿وَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا﴾ - المزمل 10.

في التفسير أمر الله نبيه أن يهجرهم هجرا جميلا، وهو الهجر حيث اقتضت المصلحة الهجر الذي لا أذية فيه، فيقابلهم بالهجر والإعراض عنهم وعن أقوالهم التي تؤذيه،

في المخالطة: ستجدين أكثرهم لا يعقلون.. وستجدين أكثرهم فاسقون.. وستجدين أكثرهم للحق كارهون ...فإن وافقتِهم في طبائعهم.. صرتِ منهم ومثلهم.

التعامل مع البشر مرهق.. وغالبًا ما يكون نهايته خذلانًا، كأنك تسيرين في حقلٍ من الأشواك مهما اجتهدت في الحذر فلا بد أن تُصابي بخدش هنا أو جرحٍ هناك...إلا من رحم ربي..

فإن لم يكن هناك مفر من مخالطتهم (كالأرحام مثلا).. فاحتسبي في تعاملك معهم الأجر من الله.. واحرصي على أن يكون تعاملا يرضي الله.

وضعي نصب عينيكِ هذا الحديث:

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (الْمُؤْمِنُ الَّذِي يُخَالِطُ النَّاسَ، وَيَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ، أَعْظَمُ أَجْرًا مِنَ الْمُؤْمِنِ الَّذِي لَا يُخَالِطُ النَّاسَ، وَلَا يَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ).[1]

[1] رواه الترمذي.

حب اللّه

أتعرفين معنى الخُلة؟ هي الحُب..

خليل الله سيدنا إبراهيم عليه السلام ابتلاه الله بذبحِ إسماعيل، تتخيلين الأمر!

تابِعي معي، كيف يختبر الله عباده..

سيدنا إبراهيم جاءه اِبْنٌ على الْكِبر تعلق به قلبه فأحبه حبًا شديدا، ولكن جاء الابتلاء الإلهي، فقد ابتلاه الله تعالى بلاءً عظيمًا بسبب هذا الحب. فقد رأى عليه السلام في المنام أنه يذبح ابنه الوحيد إسماعيل. وهو يعلم -عليه السلام - أن رؤيا الأنبياء وحي.

سيدنا إبراهيم الذي اِتسع قلبه لحب الله. وحب خلق الله. جاءه اِبن على الكِبَر. وقد طعن هو في السن، ومع ذلك يبتليه الله عز وجل بهذا الابتلاء.! لكي يأمره بذبح ابنه،

تخيلي معي الموقِف، كم هو صَعب.. فكر إبراهيم في ولده. ماذا يقول له إذا أرقده على الأرض ليذبحه.!

وماذا سيكون رد ابنه.!

كان الأفضل أن يقول لابنه ليكون ذلك أطيب لقلبه وأهون عليه من أن يأخذه قهرًا ويذبحه قهرًا.!

﴿قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى﴾. (الصافات ١٠٢)

انظر إلى تلطفه في إبلاغ ابنه، وترك الأمر لينظر فيه الابن بالطاعة. إن الأمر مقضي في نظر إبراهيم لأنه وحي من ربه. فماذا يرى الابن الكريم في ذلك؟ أجاب إسماعيل: هذا أمر يا أبي فبادر بتنفيذه.

قال: {يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاء اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ). تأملي رد الابن إنسان يعرف أنه سيذبح فيمتثل للأمر الإلهي ويُقدم المشيئة ويطمئن والده أنه سيجده. {ستجدني إِن شَاء اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ}. الصبر على أيِّ حال وعلى كل حال. وربما استعذب الابن أن يموت ذبحا بأمر من الله.. ها هو ذا إبراهيم يكتشف أن ابنه ينافسه في حب الله.

لا إله إلا الله.

ينقلنا الحق سبحانه وتعالى ـ نقلة خاطفة فإذا إسماعيل راقد على الأرض، وجهه في الأرض رحمة به كي لا يرى نفسه وهو يذبح. وإذا إبراهيم يرفع يده بالسكين. وإذا أمر الله مُطَاعْ. (فَلَمَّا أَسْلَمَا) استخدم القرآن هذا التعبير.. (فَلَمَّا أَسْلَمَا...) هذا هو الإسلام الحقيقي. تعطي كل شيء، فلا يتبقى منك شيء.

عندئذ فقط. وفي هذه اللحظة التي كان السكين فيها يتهيأ لإمضاء أمره. نادى الله إبراهيم من خلفه: ﴿وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا

إِبْرَاهِيمُ (104) قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا﴾ فالتفت إبـراهيم فـإذا بكـبش أبيض أقرن أعين.. ﴿وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ (107)﴾.

انتهى اختباره، وفدى الله إسماعيل بذبح عظـيم - وصـار اليوم عيدا لقوم لم يولدوا بعد، هم المسلمون.

صـارت هـذه اللحظـات عيـدا للمسـلمين. عيـدا يـذكرهم بمعنى الإسلام الحقيقـي الـذي كـان عليـه إبـراهيم وإسـماعيل. وقد كان القصد من هذا أن ينفرد حب الله في القَلب..

ثم إن أكثر الناس ابتلاءً هم الـذين اتبعـوا الرُسـل، تبتلـين في أقرب قريب حتى تبقي مع الله وحده. مثلا: ابتلاكِ الله بأخذِ حبيب حتى يتفرد بحبك له وحده، لأننا في الدنيا خُلقنـا لعبادتـه سُبحانه.!

لذلك يمنعكِ ليُعطيك لذة القُرب.

حب القرآن

القرآن هو الصلة بينكِ وبين الله بعد الصلاة، يعرفكِ بالله، وإذا عرفتِ الله، ستكون خطواتكِ في الدرب المظلم سهلة!

لكن هذا القرآن عزيز ولا يُعطى لغافل.

رأيتِ المرأة العجوز التي حاولت أن تغوي العابِرة؟ وقد أغوت الكثير من قبلها. تلك العجوز إن استوطنت قلبكِ، القرآن لا يدخل إليه. أتدري لماذا؟ لأن كتاب الله نور، والنور والظلمة لا يجتمعان في مكانٍ واحد.

لأنه بمجرد ما تدخل العجوز القلب، يتغير، وأنتِ تفقدين تلك اللذة، لذة القرآن في صدرك. لأن القلب، سبحان الله، خُلق لمعرفة الله، والعين خُلقت للنظر، والأذن للسمع، والأنف للشم. هل تستطيعين تغيير ما خُلقوا لأجله؟ هل تستطيعين الرؤية بأذنك؟ أكيد لا!

كل وعاء لما خُلق له. القلب لمعرفة الله، فإذا جعلتِ أنتِ فيه الدنيا، تكدر قلبكِ واستوحش، فلم تنالي من الدنيا إلا الغرور، والآخرة حيث الحبور فرطتِ فيها!

لكن لو وضعتِ الدنيا في يدك كما وضعتها العابِرة، ولم تجعليها في قلبكِ، تَطرق السعادة بابكِ، ويحبكِ الله، ويحبب فيكِ خلقه من أهل التقوى والإيمان. يحبكِ الله! كفى بها أعظم

نعمة تناليها. فإذا أحبكِ الله، نادى جبريل في السماء أن الله يحب فلان فأحبوه، ويُسمي باسمك، ويجعل لك القبول في الأرض، ويقرب لكِ الخير، ويحجب عنك الشر!

قال السعدي رحمه الله: فمَن لم يُغنِه القرآن فلا أغناه الله، ومَن لا يكفيه فلا كفاه الله.

وماذا لو حفظتِ القرآن، وقدمتِ لأبويك أفضل وأعظم هدية؟! عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (من قرأ القرآن وعمل بما فيه ألبس الله والديه تاجا يوم القيامة ضوؤه أحسن من ضوء الشمس في بيوت الدنيا فما ظنكم بالذي عمل بهذا).[1]

زيادة على ذلك فإن الله يكرم حافظ القرآن ويرفع شأنه في الدنيا والآخرة، ففي الحديث، يقول النبي صلى الله عليه وسلم: "إنَّ اللهَ يَرفعُ بهذا الكتابِ أقوامًا ويَضَعُ به آخرين".

ومعنى الحديث أن من يحفظ القرآن ويعمل به يرفعه الله مكانةً عالية في الدنيا والآخرة.

ويأتي حافظ القرآن يوم القيامة مع الملائكة الأطهار، فقد ورد في الحديث عن عائشة رضي الله عنها، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: الَّذِي يَقْرَأُ القُرْآنَ وَهُو ماهِرٌ بِهِ معَ السَّفَرَةِ الكِرَامِ البَرَرَةِ، وَالَّذِي يقرَأُ القُرْآنَ ويَتَتَعْتَعُ فِيهِ وَهُو عليهِ شَاقٌّ لَهُ أَجْران متفقٌ عَلَيْهِ.

---

[1] رواه أبو داود.

شرح الحديث: يقول ﷺ: الماهِرُ بالقرآن مع السَّفَرة الكرام البَرَرة، الذي يقرأ القرآن وهو ماهِرٌ فيه، يُجيد قراءَته، ويحفظه جيدًا مع السَّفَرة الكرام البَرَرة، يعني: إذا كان يتلوه قولًا وعملًا، لا مجرد التلاوة فقط، يُجيد تلاوته، ويعمل به، فهو قائم به لفظًا ومعنًى، والذي يقرأ القرآنَ وهو عليه شاقٌّ ويَتَتَعْتَعُ فيه له أجران. هذا أيضًا من فضل الله، فالإنسان الذي يقرأه وقصده الخير ويريد الفائدة ويريد العلم ويَتَتَعْتَعُ فيه له أجران: أجر القراءة، وأجر الاجتهاد والتَّعب، فينبغي لك يا عبد الله أن تعتني بالقرآن، وأن تحرص على حفظ ما تيسر منه، وأن تجتهد في معرفة المعنى، والعمل بما دلَّ عليه المعنى. -رياض الصالحين-.

منقذكِ من المصائب والفتن

تقول: كلما حافظت على وِردي من القرآن، والتزمت بحفظه واستغنيت عن الناس وما استغنيت عنه، أشعر براحة وطمأنينة عارمة في قلبي، ونقاء يسري في روحي، أشعر باتزاني وجمال أفعالي، وكلما ابتعدت عنه ولو ليوم واحد فقط، واقتربت من الناس، شعرت بانتكاسة قلبي ولساني وسوء أفعالي..

إن القرآن الذي بين أيدينا روح، تتحسن به أخلاقك وتشعرين باتزان عقلك وأفكارك، وتنظرين إلى الدنيا بعين العبور لا المكوث، فتُحسنين العمل وتبتعدين عن سفاسف الأمور، وتثبتينَ على الطريق المؤدي إلى الله، فلا تحتاجين بعده لمُرشد يريك الطريق، بل هو يكفي.

لأننا نعيش في زمن تحوم الفتن حولنا من كل صوب، زمن يحس فيه المؤمن الصادق بغربة شديدة وهو بين أحبابه! فلا يُذهبها عنه إلا العيش مع القرآن.

فالعيش مع القرآن مزية لا تعدلها مزية، ومرتبة لا تفوقها مراتب، لأنه الملاذ عند الفتن والمنقذ من المصائب والمحن.

كُـلُّ العُلُـومِ سِـوَى القُـرآنِ مُشـغِلَةٌ
إلّا الحَـدِيثَ وإلّا الفِقــهَ فِــي الــدِّينِ

العِلـمُ مَـا كَـانَ فِيــهِ: قـالَ، حَـدَّثَنَا
وَمَـا سِـوَى ذَاكَ وسـوَاسُ الشَّـيَاطِينِ

الشَّافِعِيُّ -رَحِمَهُ اللهُ.

فالقرآن هو منقذكِ الوحيد من المصائب والفِتن.!

نصيحة لأهل القرآن

لا تستحي من معلمة القرآن وتقولين: "أكثرت عليها" أو ما شابه.

مُحَفِّظَة القرآن تحتكِ على حفظ القرآن، لأنها تعرف ماذا غيّر القرآن فيها وفي حياتها.

مُحَفِّظَة القرآن لا تحتاج منك عَطاء ولا جزاءً ولا تبتغي بذلك متاع دنيا الفناء، بل تلك تجارة مع الله، يُغنيها بها الله.

وإن مُحَفِّظَة القرآن لا تمل ولا تكل ولا تجزع من تسميعك اليومي، بل مداومتكِ فرحة لها وغيابكِ حزن لها.

تخيلي أن تأتي يوم القيامة وفي يدكِ المصحف!

أن تدخلي على الله بكلام الله؛

لله در أهل القرآن، ومكانتهم، وكرامتهم.. وحب الله لهم.

فاحفظي القرآن وداومي..

فالقُرآن رُكن وملجأ وسلوى..

ولا تغيبي عن الحلقات..

وعليكِ بالرفقة الصالحة والتّكرار..

قال ابن عباس رضي الله عنه: "مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ لَمْ يُرَدَّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ".

معلمة القرآن

ويا معلمة القرآن، من أفضل النعم أن تكوني معلمة قرآن تهفو إليك القلوب قبل الأجساد، معروفة بين الجموع بسعة الصدر، ونقاء السريرة..

اعطِ عطاءَ مودّع، فلا تعلمين متى يباغتنا الرحيل.

(أو ولدٌ صالحٌ يدعو له..)

ولا أجمل ولا أعظم عند الله من دعوة طالبة، علمتِها وفهمتِها القرآن، وقومتِ اعوجاج لسانها، وأخذتِ بيدها، وكنتِ بعد القرآن الملاذ الآمن لها!

لا ترَ منكِ إلا الخير، ولا تسمع منكِ إلا طيب القول، لا تزجريها، ولا تعبسي في وجهها، ولا تصديها عن بيت الله، وكِتاب الله.

فاليوم هي طالبة، وغدا بإذن الله مُعلمة، تحكي لطالبتها: كانت شيختي رحمها الله نسرد عليها السور الطُوال فلا تبتئس، وجه مبتسم وضاء، وكأن ما في قلبها رُسم على وجهها الحيي، تستقبلنا استقبال الحبيب لمحبوبه، وتحبب لنا القرآن وحلقات القرآن، بخلقها الحسن، وأفعالها الطيبة، ولباسها الذي يوحي، أنها ممن عمِلت بما علِمت.!

بـارك الله فـي معلمـي القـرآن، اللهـم جـازهم بالإحسـان إحسانًا.

صحبة أهل القرآن

لا تسمع منهم إلا قول الله، وحدثنا فلان عن فلان، لا قيل وقال. فهم أفضل الصحبة من جمعتك بهم حلقات القرآن.

تلتقين في مصلاكن، تكرّرن الآيات سويًا، وتفسِّرن وتتدبرن. تحنو أكبرُكن على صغيراتكن، وتخفف الصغيرة على من تكبرها.

حتى تصبحن كالجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى.

منكن من ترحل، ولكن مكانها في القلب يبقى لا يزول.

صحبتان أفلح من حظي بهما:

صحبة المتقين: قال الله تعالى: ﴿الأَخِلّاءُ يَومَئِذٍ بَعضُهُم لِبَعضٍ عَدُوٌّ إِلَّا المُتَّقينَ﴾.

صحبة القرآن: قال النبي ﷺ: [اقرؤوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعًا لأصحابه].

تبقى صحبة أهل القرآن نعيمًا وظلًا دافئًا، وطيب يبقى أثره في القلب لا يزول. لذلك سارعي إلى مجالس القرآن، وستُهديكِ صحبة الحياة!

مِن وصية سُفيان الثَّوريّ -رَحمه الله- لِعلي بن الحسن السلميّ:

"ليكن جليسك من يزهدك في الدنيا، ويرغبك في الآخرة، وإياك ومجالسة أهل الدنيا الذين يخوضون في حديث الدنيا؛ فإنهم يفسدون عليك دينك وقلبك، وأكثر ذكر الموت، وأكثر الاستغفار مما قد سلف من ذنوبك، وسل الله السلامة لما بقي من عمرك."

اللهم صحبة تنفع، وصحبة تشفع.. اللهم اجمعنا مع أهلك على منابر من نور.

الجزء الخامس

امرأة مؤمنة

اصنعي من نفسكِ امرأة عفيفة شُجاعة صالحة لتربية جيل سوي الفطِرة..

اصنعي من نفسك امرأة صابرة محتسبة ترضى بقضاءِ ربها،

فهذا نبي الله إبراهيم عليه السلام يترك زوجته مع ولدها في وادٍ غير ذي زرع، صحراء قاحلة وشمس ملتهبة ووحشة، وليس معها إلا قربة ماء وجُرابًا من تمر، وليس هناك أي مقوم من مقومات الحياة، ثم يغادر المكان تاركًا إياها وحيدة.

فتناديه زوجته قائلة لمن تتركنا يا إبراهيم؟! آ الله أمرك بهذا فيقول: نعم، فلما علمت أنه أمر إلهي، قالت بعزة الواثق بالله "إذن لن يُضيعنا"

فقولها هذا هو توكل على الله، ويقين راسخ أن الله لن يتركها هي وولدها دون عناية.

ولكن مع هذا اليقين انطلقت تبحث عن غدير يرويها وطفلها..

فلعلها ترى طيرا يحوم في السماء يدلها على مكان ماء ينساب في ذلك الوادي.

فصعدت على جبل الصفا ثم استبطنت الوادي حتى صعدت على جبل المروة، ذهابا وإيابا، واستمر ذلك الصعود والهبوط سبعة أشواط في نفس المكان، مع أنه كان يكفيها شوطا واحدا للبحث... لكن الإصرار والسعي بالجوارح يحتاج للعمل بالأسباب، مع اليقين القلبي والتوكل على الله.

وهذا ما حصل! تفاجأتْ بالماء ينبع عند قدم طفلها الصغير الذي تركته في مخدعه، وهنا يتجلى لنا كيف أن الله يسوق الرزق لمن توكل عليه بقلبه، وعمل بجوارحه، ولو أنها جزعت وهرعت لما تنعمنا اليوم بماءِ زمزم.!

وهي نفسها المرأة التي ربَّتْ الولد الذي قال لأبيه عندما أراد ذبحه:

"يا أبتِ افعلْ ما تُؤمر"!

اصنعي من نفسك امرأة مؤمنة يحبها الله...

اصنعي من نفسك امرأة مُطيعة لِربها، وزوجها، عفيفة حتى إن غاب عنها أهلها، حفظته في نفسها وماله.

الحياء

أحب وأفخر بِحياء الأنثى الذي صوّره القرآن في هذه الآية؛ ﴿فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ﴾.

الحياء الذي لا يأتي إلا بخير.

خرجت الحيية الستيرة تتحمّل حرارة الشمس وطُول الطريق، في سبيلِ البِر بأبيها الشيخ الكبير، الذي منعه كِبره من الخروج وأداء المهمة عنها، فقامت وخرجت في مكانِه لكنها لم تتخلَّ عن حيائها..

الحياء الذي يجعلها تُراعي كلماتها، تُراقب خطواتها، وألّا تزيغ عن مُراد الله،

تمشي ويظهر عليها الحياء والوقار، خطواتها ثابتة لا تتبختر، بل كمن يمشي إلى غرض لا من يمشي متأملا، وكلامها في حدود الحاجة من غير خضوع..

موافقة موسى عليه السلام للشرط لم تأتِ عبثًا، فقد وجد امرأة تملك أغلى ما يُمكن أن تملكه النساء ـ الحياء ـ وقد أنفق من أجل الزواج منها عشر سنين، المرأة التي لم يصف الله لنا منها في القرآن إلا حياءها.

ـ حين قالت "مريم" العذراء: ﴿يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسْيًا مَنْسِيًّا (23)﴾.

كانت تخبر النِساء بأن الشرف والحيَاء أغلى مِن الحياة نَفْسهَا.

فالحياء يا صديقتي هو رأس مال المرأة المُسلمة فيه عزها وبه تُحفظ كرامتها.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "ما كانَ الفحشُ في شيءٍ إلَّا شانَه وما كانَ الحياءُ في شيءٍ إلَّا زانَه"

فلتعلمي أن الحياء هو زينة المرأة وكنزها الحقيقي.

عفي نفسك ولا تخجلي من حياءك وعفتك ولباسك الشرعي السابغ، لا تخجلي من الحق، بل اخجلي من الباطِل..

اللهم اجعلنا ونساء المسلمين صالحات تقيات، قانتات تائبات.. حبب لهن الستر واغرس فيهن الحياء والعفاف، اللهم واحرسهن من دعايات المضللين واجعل قدوتهن أمهات المؤمنين.

حِجابكِ

كانت في التاسعة من عمرها عندما اشترى لها أخوها حِجابًا شرعيًا، لبسته دون أن تُدرك بعد أن الحجاب فريضة أو أمرٌ رباني، لكنها أحبته، أحبته جدًا وأجزم أن الفطرة السليمة التي جبلنا عليها تُحبّ الستر. لكن النفوس تتبع أهواءها والشيطان...

يقولون (أكيد أرغمتها والدتها.. المسكينة صغيرة، فهناك من فرض عليها ذلك...) بينما كانت لا تعي كل هذا، أصبح عمرها اثني عشر عامًا، وهنا كانت البداية. قرأت من النور آية واحدة: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ (الأحزاب 59).

وقرأتْ لأمِ سلمة رضي الله عنها: لمَّا نزلت: ﴿يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ﴾ خرجَ نساءُ الأنصارِ كأن علَى رؤوسِهنَّ الغِربان من الأَكْسية.

وعن عائشَةَ رضيَ اللَّهُ عنها أنها قالَت: يَرحَمُ اللَّهُ نساءَ المُهاجراتِ الأُوَلَ، لمَّا أنزلَ اللَّهُ: وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ شقَّقنَ أكنف مروطَهُنَّ فاختمرنَ بِها.

يــا الله، شــققن مــروطهن فاخــتمرن بهــا! أي قَــطعن الأكســية التــي كــنّ يرتـدينها علــى أجسـادهن ليصـنعن منهـا حجابًا سابغًا يغطيهن من فوق رؤوسهن.!

أتخيل موقف هؤلاء النسوة، كيف كان حال قلوبهن.؟!

شـققن مـروطهن اسـتجابةً لأمـر الله دون تبريـرات أو تعقيدات، ودون أن تقول الواحدة منهن: هذا ليس فريضة، هذا تعقيد، هذا غير جميل أو غير جذاب!

بل استجبن سمعًا وطاعة لما أمرهن به ربهن عز وجل.

ومن نحن حتى نناقش مـا أمرنـا بـه ربنـا جـل شـأنه، مـا أراد الله لنا إلا الخير..

لبِستْ خمار أمها الكبير وفستانًا أسود وجوربًا، ـ لم تكن تملك حِجابًا شـرعيًا بعـد ـ. خرجـت مـن البيـت متوجهـة إلـى مدرسـتها الإعداديـة. دخلـت القسـم، فقـال الأسـتاذ: مـن أنـتِ؟ قالت: أنا فلانة، فقال: والله لولا الحياء لقبلت رأسكِ يـا بِنْتـي، ثبتـكِ الله. لـم يكـن الحجـاب ـ الشـرعي- والنقـاب عائقًـا أمـام طموحات وأحلام الفتيات، بـل كـان تشـريفًا وصـيانة وحمايـة لهن.

صـديقتي، نقابـكِ وحجابـكِ ـ الشـرعي الصـحيح ـ رمـز عفتك وعنـوان طهارتـك وحيـاءكِ. كنـت أسـمع كثيـرًا عِبـارة "الإيمان في القلب" وهذه العبارة خاطئة لأنها كلمة حـق يُـراد بها باطل، لِيُعطوكِ تبريرات لِعدم ارتداء الِحجاب، ـ الشـرعي

ـ لكن الإيمان الحق هو اعتقاد بالقلب، وقول باللسان -وعمل بالجوارح - ويزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية، فهذه هي عقيدة أهل السنة والجماعة...

أعرف أنكِ لازلتِ حائرة في أمر حجابك، وسأقول لكِ ارجعي إلى القرآن وتدبري كلام الله، واقرئي سيرة الصحابيات فهن القدوة الحقيقية لكِ، وحتما ستجدين ضالتكِ.

الغيرة

والغيرة عليكِ من أفضل النّعم، فها هو عثمان بن عفان رضي الله عنه وهو في سكرات الموت وقد انكشف خمار زوجته قال شدّي خمارك فوالله انكشافك اشدّ عليّ مما أنا فيه».

"علي بن أبي طالب" رضي الله عنه كان يقول: «أطفئوا السراج حتّى لا يرى أحدٌ ظلّ فاطمة»

وكان عمر بن الخطاب شديد الغيرة، وكانت امرأته تخرج، فتشهد الصلاة، فيكره ذلك، فتقول: إن نهيتني انتهيت، فيسكت امتثالًا لقول رسول الله ﷺ: "لا تمنعوا إماء الله مساجد الله"..

وهو رضي الله عنه (الفاروق) الذي أشار على رسول الله ﷺ أن يحجب نساءه، وكان عادة العرب: أنَّ المرأة لا تحتجب لنزاهتهم، ونزاهة نسائهم، ثم قام الإسلام على ذلك، فقال عمر: يا رسول الله! لو حجبت نساءك، فإنه يدخل عليهن البر والفاجر، فأنزل الله آية الحجاب.

عن المغيرة رضي الله عنه، قال: قال سعد بن عبادة رضي الله عنه:

"لـو رأيـت رجـلًا مـع امرأتـي لضـربته بالسـيف غيـر مُصفح!"

فبلغ ذلك النبي ﷺ، فقال:

((أتعجبون من غيـرة سـعد؟، لأنـا أغيـر منـه، والله أغيـرُ منِّي، ومن أجل ذلك حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطـن))؛ [متفق عليه].

النبي ﷺ كان يوضح كيف أن غيرتـه علـى نسـائه كانـت أشد من غيرة الصحابي الجليل عمر بن الخطاب، وهـو تأكيـد على شدة غيرته وحمايته لأهله.

النبي صلى الله عليه وسلم بذاته المشرفة، وحب الصحابة العظيم لـه رجـالًا ونسـاءً مـا كـان يقبـل أن ينقلـب هـذا الحـب الإيمـاني إلـى أي شـكل مـن أشـكال الـتلامس أو التقـارب أو المصافحة مع النسـاء أو نحـو ذلـك، وكـان يراعـي فـوق ذلـك غيرة الصحابة على نسائهم كامل المراعاة، بل يراعـي غيـرة الغيارى في الجنة بعد أن يذهب التكليف.

وفي الحديث: (بينا أنا نـائم رأيتنـي فـي الجنـة فـإذا امـرأة تتوضأ إلى جانب قصـر فقلـت لمـن هـذا القصـر فقـالوا لعمـر فذكرت غيرته فوليت مدبرًا، فبكى عمر وقال عليك بأبي أنـت وأمي يا رسول الله أغار!).

فـ لله در امرأة تحت حماية رجل يغـار، وإن لـم يكـن لهـا رجـلا، زوجـا كـان أو أبًـا وأخًـا، كانـت لنفسـها ذلـك "عفيفـة مصونة شامخة " تغار على نفسها.

القُدوة

العابرة علمها مرشدها في الطريق، ألا تقتدي إلا بأمهات المؤمنين، فإن هي سارت على خطاهن فازت في الدنيا والآخرة، وإن حادت عن خطاهن خسرت الدنيا والآخرة. لأننا كمسلمات، نحتاج أن نعرف مَن مِنَ النساء اللاتي نقتفي أثرهن حتى نصل إلى بر الأمان، قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾ (الأنعام 90).

وهنا أذكر لكنّ صحابيتين من أمهات المؤمنين رضي الله عنهن وأرضاهن.

ونبدأ بسيرة أم المؤمنين -خديجة رضي الله عنها. -

كانت أم المؤمنين خديجة امرأة حازمة، شريفة، لبيبة، عاقلة، تاجرة، وكانت تستأجر الرجال على مالها مضاربة.

فلما سمعت بصدق رسول الله ﷺ وأمانته عرضت عليه أن يخرج في تجارتها إلى الشام مع غلامها مَيْسرة.

فلما عاد من الشام بأرباح كثيرة، وأخبرها ميسرة ببعض ما رآه عليه من الكرامات، وبصدقه وأمانته، رغبت في زواجه، فذكر ذلك لأعمامه، فذهب معه حمزة إلى أبيها خويلد بن أسد، فخطبها وتزوجها، فأصدقها عشرين بَكْرَة.

وكانت أم المؤمنين خديجة أولى وأفضل زوجاته ﷺ.

وكان عمره ﷺ عندما تزوجها خمسًا وعشرين سنة، وكان عمرها أربعين سنة، وجلس معها اثنتين، وقيل أربعًا وعشرين سنة..

لم يتزوج عليها غيرها وفاء وتقديرًا لها.. وماتت وعمرها أربع وستون سنة، قبل الهجرة بثلاث سنين.

لقد واست أم المؤمنين خديجةُ رسولَ الله ﷺ بعقلها، ومالها، وحسن خلقها، وتدبيرها..

وقد رزقه الله جميع أولاده منها، وهم ولدان: القاسم وكان أكبر أولاده فكني به، وعبد الله الذي كان يلقب بالطاهر والطيب، وقد ماتا صغارًا.

أما بناته منها فأربع، وهن: زينب وكانت تحت العاص بن الربيع ابن خالتها هالة..

ورقية وأم كلثوم وكانتا تحت عثمان، حيث عوضه أم كلثوم بعد وفاة رقية.

وكانتا قبل بعثته ﷺ متزوجتين من ابني عمه أبي لهب، وعندما بُعِث رسول الله ﷺ وكفر أبو لهب أمر ابنيه أن يطلقا بنتي رسول الله صلى الله عليه وسلم لينشغل عن دعوته

أما فاطمة فكانت تحت علي رضي الله عنه.

وكلهن أدركن الإسلام وأسلمن، ومات كلهن قبله إلا فاطمة ماتت بعده بستة أشهر.

أما ابنه إبراهيم فإنه كان من مارية القبطية التي هداها له المقوقس ملك مصر.

وكانت أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها قبل أن تتشرف بزواجها من رسول الله ﷺ متزوجة برجلين قبله هما: عتيق بن عائذ بن مخزوم فولدت منه بنتًا، وبعد هلاكه تزوجت بأبي هالة التميمي، فولدت له هند بن هند، وكان ربيب رسول الله صلى الله عليه وسلم.

كانت في الجاهلية تلقب بالطاهرة. وأول من آمن برسول الله ﷺ من النساء

* أقرأها الله عز وجل السلام بواسطة جبريل: "يا خديجة، هذا جبريل يقرئك السلام من ربك"، فقالت خديجة: الله هو السلام، ومنه السلام، وعلى جبريل السلام.

* من النساء الكمل، فقد صح عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: "خير نساء العالمين مريم بنت عمران، وآسيا بنت مزاحم، وخديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد"

و"كمُل من الرجال كثير، ولم يكمل من النساء إلا أربع، هن: مريم ابنة عمران، وآسيا بنت مزاحم، وخديجة، وفاطمة".

❋ وروي عنه أنه قال: "خير نسائها خديجة، وخير نسائها مريم".

كان رسول الله ﷺ يكثر من ذكر أم المؤمنين خديجة بعد وفاتها، وكانت عائشة تغار منها ولم ترها.

❋ وعن عائشة رضي الله عنها قالت: ذكر رسول الله ﷺ خديجة ذات يوم فتناولتها، فقلت: عجوز كذا وكذا، قد أبدلك الله بها خيرًا منها؛ قال: "ما أبدلني الله خيرًا منها، لقد آمنت بي حين كفر بي الناس، وصدقتني حين كذبني الناس، وأشركتني في مالها حين حرمني الناس، ورزقني الله ولدها وحرمني ولد غيرها" فقلت: والله لا أعاتبك فيها بعد اليوم.

وهي أول من آمن بالنبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ من النساء، بل أول من آمن به على الإطلاق، فكانت أول من استمع إلى الوحي الإلهي من فم النبي الكريم ـ صلى الله عليه وسلم ـ، وقد أجمع المسلمون على أن خديجة بنت خويلد ـ رضي الله عنها ـ هي أول الناس إسلاما من هذه الأمة، فلم يسبقها إلى الإسلام أحد، فمنذ أن أوحي إليه ـ صلى الله عليه وسلم ـ وقال: (حتى خشيت على نفسي)، لم تتردد لحظة في تصديقه وقبول دعوته، لتكون أول من آمن به، وقالت مطمئنة له: (لا، والله لن يخزيك الله أبدا، إنك لتحمل الكل، وتعين على نوائب الحق).

حب ووفاء

الوفاء خلق كريم، وكان نبينا ـ صلى الله عليه وسلم ـ فيه بالمحل الأفضل والمقام الأسمى، والمكان الأشرف، فوفاؤه كان مضرب المثل، وقد حفظ النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ لزوجته خديجة ـ رضي الله عنها ـ فضلها، وكان وفيا لها في حياتها وبعد موتها، ومن صور ومظاهر وفائه ـ صلى الله عليه وسلم ـ معها: أنه كان دائما يذكرها بخير في حياتها وبعد مماتها، وكان يكرم صديقاتها بعد موتها، ولما رأت أم المؤمنين عائشة ـ رضي الله عنها ـ النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ يكثر من ذكر خديجة ـ رضي الله عنها ـ، ويهدي إلى صديقاتها، قالت: (كأنه لم يكن في الدنيا امرأة إلا خديجة) فكان ـ صلى الله عليه وسلم ـ يرد بقوله: (إنها كانت وكانت، وكان لي منها ولد) رواه البخاري .

قال النووي: "في هذا الحديث دلالة حسن العهد، وحفظ الود، ورعاية حرمة الصاحب والمعاشر حيا وميتا، وإكرام معارف ذلك الصاحب".

وعن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ قال: كان النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ إذا أتي بالشيء يقول: (اذهبوا به إلى فلانة، فإنها كانت صديقة خديجة، اذهبوا به إلى بيت فلانة، فإنها كانت تحب خديجة) رواه الحاكم وحسنه الألباني.

وعن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: (استأذنت هالة بنت خويلد أخت خديجة على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ، فعرف (تذكر) استئذان خديجة فارتاح لذلك (سر لمجيئها وصوتها لأنها ذكرته بخديجة)، فقال: اللهم هالة، قالت: فغرت فقلت: ما تذكر من عجوز من عجائز قريش حمراء الشدقين (عجوز سقطت أسنانها)، هلكت (ماتت) في الدهر قد أبدلك الله خيرا منها، فقال ـ صلى الله عليه وسلم ـ: ما أبدلني الله خيرا منها، قد آمنت بي إذ كفر بي الناس، وصدقتني إذ كذبني الناس، وواستني بمالها إذ حرمني الناس، ورزقني الله ولدها إذ حرمني أولاد النساء) رواه أحمد .

قال القرطبي: "كان حبه ـ صلى الله عليه وسلم ـ لها لما تقدم ذكره من الأسباب، وهي كثيرة كل منها سبب في إيجاد المحبة".

وقال ابن العربي: "كان النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قد انتفع بخديجة برأيها ومالها ونصرها، فرعاها حية وميتة، وبرها موجودة ومعدومة، وأتى بعد موتها ما يعلم أن يسرها لو كان في حياتها".

وعن عائشة ـ رضي الله تعالى ـ قالت: (جاءت عجوز إلى النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهو عندي، فقال لها: من أنت؟، فقالت: أنا جثامة المزنية، قال: بل أنت حسانة المزنية كيف أنتم؟، كيف حالكم؟، كيف كنتم بعدنا؟، قالت: بخير بأبي أنت وأمي يا رسول الله، فلما خرجت، قلت: يا رسول الله، تقبل على هذه العجوز هذا الإقبال؟، فقال: إنها

كانت تأتينا زمن خديجة، وإن حسن العهد من الإيمان) رواه الحاكم وصححه الألباني.

لقد كانت أم المؤمنين خديجة ـ رضي الله عنها ـ طوال حياتها مع النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ مثلا طيبا للزوجة الصالحة، التي تعين زوجها على أعبائه، وتقف معه بالحب والإيناس والعون، وهي ممن كمل من النساء، وبقيت معه ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلى أن أكرمه الله برسالته، فآمنت به ونصرته، وكان لها في حياته ـ صلى الله عليه وسلم ـ عظيم الأثر، ولها عند الله عظيم الأجر والمنزلة، وكان ـ صلى الله عليه وسلم ـ يثني عليها ويبالغ في تعظيمها، ويقول: (إني قد رزقت حبها) رواه مسلم.

أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق رضي اللّه عنهما

هي الصديقة بنت الصديق أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر بن قُحافة، وأمها أم رومان بنت عامر بن عويمر الكِنَانية، ولدت في الإسلام، بعد البعثة النبوية بأربع أو خمس سنوات، وكانت امرأة بيضاء جميلة. ومن ثم كان يُقال لها: الحُميراء.

تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل الهجرة ببضعة عشر شهرًا وهي بنت ست سنوات..

ودخل بها في شوّال من السنة الثانية للهجرة وهي بنت تسع سنوات.

فعن عائشة رضي الله عنها قالت: (تزوجني رسول الله صلى الله عليه وسلم لست سنين، وبنى بي وأنا بنت تسع سنين) متفق عليه

ولم يتزوج صلى الله عليه وسلم من النساء بكرًا غيرها، وكانت تفخر بذلك، فعنها قالت: (يا رسول الله أرأيت لو نزلتَ واديًا وفيه شجرةً قد أُكِل منها ووجدتَ شجرًا لم يؤكل منها،

في أيها كنت ترتع بعيرك؟ قال: في التي لم يرتع منها، تعني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يتزوج بكرًا غيرها).[1]

وهي زوجته صلى الله عليه وسلم في الدنيا والآخرة كما ثبت في الصحيح.

[1] رواه البخاري.

محبة الرسول لها ومداعبته لها..

كان لها رضي الله عنها منزلة خاصة في قلب رسول الله، وكان يُظهر ذلك الحب، ولا يخفيه، حتى إن عمرو بن العاص، وهو ممن أسلم سنة ثمان من الهجرة، سأل النبي صلى الله عليه وسلم، (أي الناس أحب إليك يا رسول الله؟ قال: عائشة قال: فمن: الرجال؟ قال: أبوها) متفق عليه.

وفي صحيح مسلم، عن عائشة رضي الله عنها، قالت: (كنت أشرب وأنا حائض، ثم أناوله النبي صلى الله عليه وسلم، فيضع فاه على موضع فيَّ، فيشرب، وأتعرق العرق وأنا حائض، ثم أناوله النبي صلى الله عليه وسلم فيضع فاه على موضع فيَّ).

شرح الحديث:

تخبر عائشة رضي الله عنها أنها كانت تشرب الشراب وهي حائض ثم تناوله للنبي صلى الله عليه وسلم فيضع فمه على الموضع الذي وضعت عائشة فيه فمها ويشرب، وتأخذ العظم الذي عليه لحم فتأكل منه وهي حائض ثم تعطيه للنبي صلى الله عليه وسلم، فيضع فمه على الموضع الذي وضعت فيه فمها، وإنما كان يفعل ذلك عليه الصلاة والسلام إظهارًا لمودتها، وبيانًا للجواز، وأن الحائض لا ينجس منها شيء، ولا يجتنب منها إلا موضع الأذى فحسب.

معاني الكلمات

أتعرق: آكل من العظم الذي عليه بقية لحم.

يضع فاه على موضع في: يضع فمه على الموضع الذي وضعت فمها فيه.

من فوائد الحديث

1_ بيان طهارة فم الحائض وريقها وسائر بدنها.

2_ طهارة سؤرها وجواز مؤاكلتها، ومشاربتها.

3_ بيان ما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم من الأخلاق الكريمة، وحسن عشرته لأزواجه.

4_ جواز مداعبة الرجل لزوجته، وإدخال السرور عليها بمثل هذا.

5_ فيه منقبة عظيمة لعائشة رضي الله عنها، وبيان مقدار حب الرسول صلى الله عليه وسلم لها.[1]

وعنها رضي الله عنها (أنها كانت مع النبي صلى الله عليه وسلم في سفر، وهي جارية، فقال لأصحابه: تقدموا، فتقدموا، ثم قال لها: تعالي أسابقك) رواه الإمام أحمد وصححه الأرنؤوط.

---

[1] المصدر: موقع موسوعة الأحاديث النبوية.

علمها...

تلقت رضي الله عنها العلم من رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأخذت عنه علمًا كثيرًا طيبًا، فكانت من المكثرين في رواية الحديث، ولا يوجد في نساء أمة محمد صلى الله عليه وسلم امرأة أعلم منها بدين الإسلام.

روى الحاكم والدارمي عن مسروق، أنه قيل له: هل كانت عائشة تحسن الفرائض؟ قال إي والذي نفسي بيده، لقد رأيت مشيخة أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم يسألونها عن الفرائض.

وقال الزُّهري: لو جُمعَ علمُ عائشة إلى علم جميع النساء، لكان عِلم عائشة أفضل.

وعن أبي موسى قال: ما أشكل علينا أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم حديثٌ قط فسألنا عائشة، إلا وجدنا عندها منه علمًا.

قال عطاء بن أبي رباح: كانت عائشة أفقه الناس وأعلم الناس، أحسن الناس رأيًا في العامة.

قصة الإفك

فخير من ذكر قصة الإفك بالتفصيل هي صاحبة القصة أم المؤمنين عائشة بنت الإمام الصديق الأكبر خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وقد

روى الحديث البخاري وغيره، ونحن ننقله بطوله لما فيه من العبر والعظات:

قالت عائشة: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أراد سفرا أقرع بين أزواجه، فأَيَّتُهُنَّ خرج سهمها خرج بها رسول الله صلى الله عليه وسلم معه، قالت عائشة: فأقرع بيننا في غزوة غزاها فخرج فيها سهمي، فخرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ما أنزل الحجاب، فكنت أحمل في هودجي وأنزل فيه، فسرنا حتى إذا فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوته تلك وقفل، ودنونا من المدينة قافلين، آذن ليلة بالرحيل، فقمت حين آذنوا بالرحيل، فمشيت حتى جاوزت الجيش، فلما قضيت شأني أقبلت إلى رحلي، فلمست صدري فإذا عقد لي من جزع ظفار قد انقطع، فرجعت فالتمست عقدي فحبسني ابتغاؤه، قالت: وأقبل الرهط الذين كانوا يرحلون لي، فاحتملوا هودجي فرحلوه على بعيري الذي كنت أركب عليه، وهم يحسبون أني فيه، وكان النساء إذ ذاك خفافا لم يهبلن، ولم يغشهن اللحم، إنما يأكلن العلقة من الطعام، فلم يستنكر القوم خفة الهودج حين رفعوه وحملوه، وكنت جارية حديثة السن، فبعثوا الجمل فساروا، ووجدت عقدي بعد ما استمر الجيش، فجئت منازلهم وليس بها منهم داع ولا مجيب، فتيممت منزلي الذي كنت فيه، وظننت أنهم سيفقدوني فيرجعون إلي، فبينا أنا جالسة في منزلي غلبتني عيني فنمت، وكان صفوان بن المعطل السلمي ثم الذكواني من وراء الجيش، فأصبح عند منزلي، فرأى سواد إنسان نائم فعرفني حين رآني، (ركزنَ هنا دليل واضح على وجوب

الحجاب الشرعي) وكان رآني قبل الحجاب، فاستيقظت باسترجاعه حين عرفني، فخمرت وجهي بجلبابي، (فخمرت وجهي بجلبابي "أي غطت وجهها").

والله ما تكلمنا بكلمة، ولا سمعت منه كلمة غير استرجاعه، وهوى حتى أناخ راحلته، فوطئ على يدها، فقمت إليها فركبتها، فانطلق يقود بي الراحلة حتى أتينا الجيش موغرين في نحر الظهيرة وهم نزول، قالت: فهلك من هلك، وكان الذي تولى كبر الإفك عبد الله بن أبي ابن سلول. قال عروة: أخبرت أنه كان يشاع ويتحدث به عنده، فيقره ويستمعه ويستوشيه. وقال عروة أيضا: لم يسم من أهل الإفك أيضا إلا حسان بن ثابت، ومسطح بن أثاثة، وحمنة بنت جحش، في ناس آخرين لا علم لي بهم، غير أنهم عصبة، كما قال الله تعالى، وإن كبر ذلك يقال له: عبد الله بن أبي ابن سلول.

قال عروة، كانت عائشة تكره أن يسب عندها حسان، وتقول: إنه الذي قال:

فإن أبي ووالده وعرضي * لعرض محمد منكم وقاءُ

قالت عائشة: فقدمنا المدينة، فاشتكيت حين قدمت شهرا، والناس يفيضون في قول أصحاب الإفك، لا أشعر بشيء من ذلك، وهو يريبني في وجعي أني لا أعرف من رسول الله

صلى الله عليه وسلم اللطف الذي كنت أرى منه حين أشتكي، إنما يدخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم فيسلم، ثم يقول: (كيف تِيكُمْ). ثم ينصرف، فذلك يريبني ولا أشعر بالشر، حتى خرجت حين نقهت، فخرجت مع أم مسطح قبل المناصع، وكان متبرزنا، وكنا لا نخرج إلا ليلا إلى ليل، وذلك قبل أن نتخذ الكنف قريبا من بيوتنا، قالت: وأمرنا أمر العرب الأول في البرية قبل الغائط، وكنا نتأذى بالكنف أن نتخذها عند بيوتنا، قالت: فانطلقت أنا وأم مسطح، وهي ابنة أبي رهم ابن المطلب بن عبد مناف، وأمها بنت صخر بن عامر خالة أبي بكر الصديق، وابنها مسطح بن أثاثة بن عباد بن المطلب، فأقبلت أنا وأم مسطح قبل بيتي حين فرغنا من شأننا، فعثرت أم مسطح في مرطها فقالت: تعس مسطح، فقلت لها: بئس ما قلت، أتسبين رجلا شهد بدرا؟

فقالت: أي هنتاه أو لم تسمعي ما قال؟ قالت: وقلت: وما قال؟ فأخبرتني بقول أهل الإفك، قالت: فازددت مرضا على مرضي، فلما رجعت إلى بيتي دخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلم،

ثم قال: (كيف تِيكُمْ). فقلت له: أتأذن لي أن آتي أبوي؟ قالت: وأريد أن أستيقن الخبر من قبلهما، قالت: فأذن لي رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقلت لأمي: يا أمتاه، ماذا يتحدث الناس؟ قالت: يا بنية، هوني عليك، فوالله لقلما كانت امرأة قط وضيئة عند رجل يحبها، لها ضرائر، إلا أكثرن عليها.

قالت: فقلت: سبحان الله، أو لقد تحدث الناس بهذا؟ قالت: فبكيت تلك الليلة حتى أصبحت لا يرقأ لي دمع ولا أكتحل بنوم، ثم أصبحت أبكي، قالت: ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم علي ابن أبي طالب وأسامة بن زيد، حين استلبث الوحي، يسألهما ويستشيرهما في فراق أهله، قالت: فأما أسامة أشار على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالذي يعلم من براءة أهله، وبالذي يعلم لهم في نفسه، فقال أسامة: أهلك، ولا نعلم إلا خيرا.

وأما علي فقال: يا رسول الله، لم يضيق الله عليك، والنساء سواها كثير، وسل الجارية تصدقك. قالت: فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بريرة، فقال: (أي بريرة، هل رأيت شيء يريبك). قالت له بريرة: والذي بعثك بالحق، ما رأيت عليها أمرا قط أغمصه أكثر من أنها جارية حديثة السن، تنام عن عجين أهلها، فتأتي الداجن فتأكله، قالت: فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم من يومه فاستعذر من عبد الله ابن أبي، وهو على المنبر، فقال: (يا معشر المسلمين، من يعذرني من رجل قد بلغني عنه أذاه في أهلي، والله ما علمت على أهلي إلا خيرا، ولقد ذكروا رجلا ما علمت عليه إلا خيرا وما يدخل على أهلي إلا معي). قالت: فقام سعد بن معاذ أخو بني عبد الأشهل فقال: أنا يا رسول الله أعذرك، فإن كان من الأوس ضربت عنقه، وإن كان من إخواننا من الخزرج، أمرتنا ففعلنا أمرك. قالت: فقام رجل من الخزرج، وكانت أم حسان بنت عمه من فخذه، وهو سعد بن عبادة، وهو سيد الخزرج.

قالت: وكان قبل ذلك رجلا صالحا، ولكن احتملته الحمية، فقال لسعد: كذبت لعمر الله لا تقتله، ولا تقدر على قتله، ولو كان من رهطك ما أحببت أن يقتل. فقام أسيد بن حضير، وهو ابن عم سعد، فقال لسعد بن عبادة: كذبت لعمر الله لنقتلنه، فإنك منافق تجادل عن المنافقين. قالت فثار الحيان الأوس والخزرج، حتى هموا أن يقتتلوا، ورسول الله صلى الله عليه وسلم قائم على المنبر، قالت: فلم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يخفضهم، حتى سكتوا وسكت، فبكيت يومي ذلك كله لا يرقأ لي دمع ولا أكتحل بنوم، قالت: وأصبح أبوي عندي، قد بكيت ليلتين ويوما، ولا يرقأ لي دمع لا أكتحل بنوم، حتى إني لأظن أن البكاء فالق كبدي، فَبَيْنَمَا أبواي جالسان عندي وأنا أبكي، فاستأذنت علي امرأة من الأنصار فأذنت لها، فجلست تبكي معي، قالت: فَبَيْنَا نحن على ذلك دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم علينا فسلم ثم جلس، قالت: لم يجلس عندي منذ قيل ما قيل قبلها، وقد لبث شهرا لا يوحى إليه في شأني بشيء، قالت: فتشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم حين جلس، ثم قال: (أما بعد، يا عائشة، إنه بلغني عنك كذا وكذا، فإن كنت بريئة، فسيبرئك الله، وإن كنت ألممت بذنب، فاستغفري الله وتوبي إليه، فإن العبد إذا اعترف ثم تاب، تاب الله عليه).

قالت: عائشة: فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم مقالته قلص دمعي حتى ما أحس منه قطرة، فقلت لأبي: أجب رسول الله صلى الله عليه وسلم عني فيما قال، فقال أبي: والله ما أدري ما أقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فقلت

لأمي: أجيبي رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما قال، قالت أمي: والله ما أدري ما أقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فقلت: وأنا جارية حديثة السن لا أقرأ من القرآن كثيرا: إني والله لقد علمت: لقد سمعتم هذا الحديث حتى استقر في أنفسكم وصدقتم به، فلئن قلت لكم: إني بريئة، لا تصدقوني، ولئن اعترفت لكم بأمر، والله يعلم أني منه بريئة لَتُصَدِّقني، فوالله لا أجد لي ولكم مثلا إلا أبا يوسف حين قال: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ (18)﴾.

ثم تحولت واضطجعت على فراشي، والله يعلم أني حينئذ بريئة، وأن الله مبرئي ببراءتي، ولكن والله ما كنت أظن أن الله منزل في شأني وحيا يتلى، لشأني في نفسي كان أحقر من أن يتكلم الله في بأمر، ولكني كنت أرجو أن يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم في النوم رؤيا يبرئني الله بها، فوالله ما رام رسول الله صلى الله عليه وسلم مجلسه، ولا خرج أحد من أهل البيت، حتى أنزل عليه، فأخذه ما كان يأخذه من البرحاء، حتى إنه ليتحدر منه العرق مثل الجمان، وهو في يوم شات، من ثقل القرآن الذي أنزل عليه، قالت: فسرى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يضحك، فكانت أو كلمة تكلم بها أن قال: (يا عائشة، أما والله فقد برأك).

فقالت لي أمي: قومي إليه، فقلت: والله لا أقوم إليه، فإني لا أحمد إلا الله عز وجل، قالت: وأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ﴾. العشر الآيات، ثم أنزل الله هذا في براءتي، قال أبو بكر الصديق، وكان ينفق على مسطح بن

أثاثة لقرابته منه وفقره: والله لا أنفق على مسطح شيئا أبدا، بعد الذي قال لعائشة ما قال. فأنزل الله: {ولا يأتل أولوا الفضل منكم - إلى قوله - غفور رحيم}.

قال أبو بكر الصديق: بلى والله إني لأحب أن يغفر الله لي، فرجع إلى مسطح النفقة التي ينفق عليه، وقال: والله لا أنزعها منه أبدا، قالت عائشة: وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم سأل زينب بنت جحش عن أمري، فقال لزينب: ماذا علمت، أو رأيت). فقالت: يا رسول الله أحمي سمعي وبصري، والله ما علمت إلا خيرا، قالت عائشة: وهي التي كانت تساميني من أزواج النبي صلى الله عليه وسلم فعصمها الله بالورع. قالت: وطفقت أختها تحارب لها، فهلكت فيمن هلك.

قال ابن شهاب: فهذا الذي بلغني من حديث هؤلاء الرهط.

ثم قال عروة: قالت عائشة: والله إن الرجل الذي قيل له ما قيل ليقول: سبحان الله، فوالذي نفسي بيده ما كشفت من كنف أنثى قط، قالت: ثم قتل بعد ذلك في سبيل الله.

ما يُستفاد من حادثة الإفك:

فضل الله تعالى ورحمته أن أظهر براءة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، وكشف زيف وبطلان هذا الإفك، وبقيت دروس وفوائد هذه الحادثة ـ حادثة الإفك ـ، لتكون

عبرة للمؤمنين في كل زمان ومكان إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، ومن هذه الدروس والفوائد: إمساك اللسان عن الخوض فيما حرم الله من الأعراض وغيرها لما له من آثار خطيرة على الفرد والمجتمع: ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ (15)﴾ (النور:15)

وإحسان الظن بالمسلمين الذي يقطع الطريق على الشيطان للوقيعة بين المؤمنين: ﴿لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُبِينٌ (12)﴾ (النور:12)

والمسارعة إلى طاعة الله عز وجل في أوامره وإن كانت مخالفة لما يريده المسلم، كما فعل أبو بكر رضي الله عنه مع مسطح ومواصلته النفقة عليه رغم ما فعله، امتثالا لقول الله تعالى: ﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (22)﴾ (النور:22)، وقول أبي بكر رضي الله عنه: (والله! إني لأحب أن يغفر الله لي، فرجع إلى مسطح النفقة التي كان ينفق عليه، وقال: لا أنزعها منه أبدا).[1]

ومن الفوائد والدروس والعبر المترتبة على حادثة الإفك، ما ذكره النووي في شرح صحيح مسلم، والعيني في "عمدة القاري شرح صحيح البخاري": "براءة عائشة رضي الله

---

[1] رواه مسلم.

تعالى عنها من الإفك، وهي براءة قطعية بنص القرآن، فلو تشكك فيها إنسان صار كافرا مرتدا بإجماع المسلمين.. وفيه: فضائل لأبي بكر رضي الله عنه في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ﴾ (النور:22).

وفيه: استحباب صلة الأرحام وإن كانوا مسيئين، وفيه: استحباب العفو والصفح عن المسيء، وفيه: استحباب الصدقة والإنفاق في سبيل الخيرات. وفيه: استحباب لمن حلف على يمين فرأى غيرها خيرا منها أن يأتي بالذي هو خير، فيكفر عن يمينه".[1]

فضائل عائشة رضي الله عنها:

أما فضائلها فكثيرة، من ذلك ما جاء في الصحيح عن أبي موسى، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: (كمُل من الرِّجال كثير ولم يكمل من النساء إلا مَريم بنتُ عمران، وآسية امرأةُ فرعون، وفضلُ عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام) متفق عليه.

وعنها رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (يا عائشة هذا جبريل يقرأ عليك السلام، قالت: قلت وعليه السلام ورحمة الله) متفق عليه

---

[1] المصدر: إسلام ويب.

أمهات المؤمنين هُنَّ القدوة الحقيقية لكِ، مثالا للفتاة التقية العفيفة، ومثالًا للزوجة الصالحة الصبورة مع زوجها على نوائِب الدهر.

رضى الله عن أمنا أم المؤمنين خديجة وعائشة بنت أبي بكر الصديق.

ونتقرب إلى الله بحبهما. اللهم اخذل من يسبهما في الدنيا والآخرة وأذقه الهوان والذل والصغار في الدنيا والآخرة.

ولكنِّي أفقد جُليبيباً

الصحابي الجليل جليبيب رضي الله عنه غير منسوب، كان دميم الخلقة، حسن الخلق، وكانت فيه دعابة، كان غريب حتى بين أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلّم، كان رجلا فقيرا لا مال له ولا جاه، إذا غاب لم يفتقد وإذا حضر لم يُذكر، ينام في المسجد يفترش الأرض ويتوسد ذراعه، لم يكن وسيما لكن قلبه كان معلقا بالله.

عن أبي برزة الأسلمي قال: كانت الأنصار إذا كان لأحدهم أيم، لم يزوجها حتى يعلم النبي صلى الله عليه وسلم أله فيها حاجة أم لا؟ وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لرجل من الأنصار ذات يوم: "زوجني ابنتك".

قال: نعم، وكرامة يا رسول الله، ونعمة عين.

قال: "إني لست أريدها لنفسي".

قال: فلمن يا رسول الله؟ قال: " لجليبيب "، قال: فقال: يا رسول الله، أشاور أمها.

فأتى أمها، فقال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب ابنتك، فقالت: نعم ونعمة عين.

فقال: إنه ليس يخطبها لنفسه، وإنما يخطبها لجليبيب.

فقالت: ألجليبيب لا.

ثلاثا، لعمر الله لا نزوجه.

فلما أراد أن يقوم ليأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم فيخبره بما قالت أمها، قالت الجارية: من خطبني إليكم؟ فأخبرتها أمها، فقالت: أتردون على رسول الله صلى الله عليه وسلم أمره، ادفعوني، فإنه لن يضيعني.

قال: فانطلق أبوها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره، قال: شأنك بها.

فزوجها جليبيبا، وخرج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزاة له، قال: فلما أفاء الله عليه، قال لأصحابه: "هل تفقدون من أحد؟" قالوا: نفقد فلانا ونفقد فلانا.

قال: "انظروا هل تفقدون من أحد؟" قالوا: لا.

قال: "لكني أفقد جليبيبا، فاطلبوه في القتلى".

قال: فطلبوه، فوجدوه إلى جنب سبعة قد قتلهم، ثم قتلوه، فأتاه النبي صلى الله عليه وسلم فقام عليه، فقال: "قتل سبعة ثم قتلوه، هذا مني وأنا منه، هذا مني وأنا منه"، مرتين أو ثلاثا، ثم وضعه رسول الله صلى الله عليه وسلم على ساعده وحفر له، ما له سرير إلا ساعد النبي صلى الله عليه وسلم ثم وضعه في قبره، ولم يذكر أنه غسله.

اللهُم اجعلنا مثل جُليبيب منسيًّا فـي الأرض مـذكورًا فـي السماء.

هذا لِتعلمي، أن القضية قضية قُلوب، لا أجساد.

رسالة إلى مرشدي

هل أبدأ بسلام اللقاء أم سلام الوداع يـا خلّـي؟ فـي خـافقي حكايات كثيرة كنت أود أن أقصها عليك، وأستند علـى كتفـك، لكن حالت بيني وبين ذلك الدروب.

العبارات سـهلة كتابتهـا فـي أوقـات الرخـاء، وفـي الشـدة يكون ذلك صعبًا. ولا زالت تلك العبـارات عالقـة فـي جـوفي، تنتظـر أن تـؤذن لهـا فتخـرج. أنـا أعـرف أن الطريـق طويـل ومتعب، وخطواتنا تسير ببطء، وما يعلمه الناس عـن بعضـهم البعض صغير جدًّا، وما تبقى لهـم يظـل غيـر معـروف. وإننـا نعيش على قيد عقارب الساعة التي لا ندرك متى ستدق. كنت لا أزال أمشي بثقل قديم لولا النور الذي زاحـم الظلمـة. وإنـي لأتخيل الأيام لـو كانـت دون رحمـة الله ودون كتابـه، يـا أخـي سنضيع... فالرحمة في العالمين أصبحت تُفتقد رويدًا رويدًا.

إني أقف كل يوم على سجادتي، ومـع رفـع الأذان أطلـب مـن الله عـون مـن لـم يعـد لديـه قـوة فـي البَحـث، وأقـف فـي الصلاة، أكبِّر والهموم تنزاح ورائي بكل ما قد عانيتُه في ذلك الدرب الطويل.

وكذلك... لولا النور الذي زاحم الظلمة لتُهتْ... إنـي أرى جبر الخواطر واجبًا علـيّ، لكـن لا أسـتطيع أن أرى خـاطري ينكسر من الجهة التي أظنها آمنـة. كـان يـؤلمني عجـزي عـن

إزاحة هم النّاس. كنت أبكي حتى لحالِ طفلٍ صغير يبكي على ضَياع لُعبته، وأعلم بأنّني أكثر عجزًا عن إزاحةِ همّ قلبي ومَا فِيه من قِصص تُروى بِدمعِ العين، لذا تراني الآن تغيرت...

تغيرت جِدًّا فالألم وعدم الرحمة غَيرتني.. غيرتِني للأفضل، فأصبحت أكثر رحمة ورِفق بالعالمين، النور يا خِلي ربّاني وصبّرني وآنس وِحشتي، وقد نلتُ.. بُشِّرت بِـ الذي سيسلُك نَفس الدرب ويتخطى قُطاع الطُرق وكيد العَجوز بالنُّور الذي سيحملُه في صدره.

خِلي أن تكونَ بخير وفِي أفضلِ حال والأحبَّة والصُحبة كذلك.. فأنتَ والأحبة والصُحبة وجدت فيكم الخير الكثير، هذا ما أريده أن تكونوا بِخير.. وأن يلتمس الجميع الأعذار الكثيرة وأن يكف الجميع عن الأذية، بعد هذا لا شيء أنتظره سِوى رضى ربّي ولُقياه بقلبٍ موحد صفيٍّ نقيٍّ وأن أنسَى كُل ما مرَّ وضَر ولا أفجَع من جديد، لأن زَاد الصبر نَفذ في الطريق الوعِرة... خِلي أدعك الآن نُكمل حديثَنا فيمَا بَعد فكأنّي أسمع صوت مِن بَعيد يقول: يا صاحبَة الصَّبرِ الطَّويل هُنا آخر محطتِك.

تم بحمد الله؛ إن أصبت فمن الله، وإن أخطأت فمن نفسي والشيطان.

روابط مهمّة لكل كاتب، ستساعدك على تنمية مهاراتك الكتابية.

شروط النشر في دار بسمة للنشر الإلكتروني

اسأل سؤالك هنا

دار بسمة للنشر الإلكتروني

دار مغربية، رقمية، تأسست في 2017

دار بسمة للنشر الإلكتروني من أهدافها مساعدة الشباب المغاربة والعرب على نشر إبداعاتهم، وإيصال أصواتهم وتغريداتهم إلى العالم كله، كما تطمح لاكتساح عالم النشر الإلكتروني في كل الأقطار العربية..

كما أننا –في محاولة منّا لتغذية شريان الثقافة– نسترشد بالضمير الحي من أجل نشر المحتوى الثمين، حاملين على كواهلنا رسالة التنوير الحقيقي، ومدركين كل الإدراك لقيمة القلم النبيلة، لذلك كنا حريصين على نشر كل ما هو قيّم. في دار بسمة للنشر الإلكتروني نساند المؤلفين وندعمهم لإيصال إبداعاتهم لملايينَ من القراء، ونرشدهم إلى آليات فنية تعينهم على تحسين أساليب الكتابة والإبداع. وتقريبا لهذه الغاية تقوم الدار بتنظيم مسابقات متعدّدة، والإشراف عليها مجانا من أجل اكتشاف المواهب الشابة التي تستحق أن تُنشرَ أعمالُها بينَ القرأَة والمثقفين، وذلك تشجيعا لهم على الاستمرارية في الكتابة الإبداع.

المحتويات

الإهداء..... 6
قصة 7
الجزء الثاني.....22
الخواطر.....22
الغصن الهزيل 23
إلى دار البقاء 26
الصبر 29
تفقد الأحبة.....32
لا تحزن.....35
الجزء الثالث 37
لا تستحقين العناء 38
أذية الناس لكِ 39
هجر الناس لكِ.....41
العُزلة خَير 42
الخوف.....44
الراحة في الجنة 45
عوض الله.....47
الجزء الرابع 50

فتشي في قلبكِ.....51
علمني رسول الله ﷺ.....52
تعاملي مع الله.....54
حب الله.....57
حب القرآن.....60
منقذكِ من المصائب والفتن.....63
نصيحة لأهل القرآن.....65
معلمة القرآن.....67
صحبة أهل القرآن.....69
الجزء الخامس.....71
امرأة مؤمنة.....72
الحياء.....74
حِجابكِ.....76
الغيرة.....79
القُدوة.....82
حب ووفاء.....86
أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما ...89
محبة الرسول لها ومداعبته لها.. 91
ولكنّي أفقد جُليبيبًا.....104
رسالة إلى مرشدي.....107

مُرشدي في الظُلمة

نُحارب ظُلمة الدنيا بفؤادٍ عليل لِفقدِ السَند، وأعينٍ ذابلة كَوردة طُرحت على الأرض، نمشي بِثقلٍ قديم، ومَهابةً من بطشِ المُتجبرين.
ووسط رُكامٍ من اليأسِ هناك نور في آخر الدربِ المُظلِم، ليس من الإنس ولا من الجِن، يهدي الحيارى في دياجير الظلام المُبين، ولا نجاة للمرءِ إلا به
ولا يخشى المتقدم فيه إلا التراجع، ولِتبقى الحياة التي نحنُ فيها على مَسلكِين، لا ثالث لهَما إلا المَوت.!

أم محمد نعيمة بوعسل